دائـــرة الشـــؤون الإســـلامية والعمـــل الخيـــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department
Public Relation & Media Dept. إدارة العـلاقات العـامة والإعـلام

حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

من المحرر

الأزمة العالمية

عزيزي القارئ لا تكاد تخلو جريدة أو موقع على الانترنت اليوم من خبر أو تقرير حول الأزمة المالية العالمية وتداعياتها على اقتصاديات دول العالم، وانطلاقاً من رغبتنا في توفير نافذة تطل على واقع العالم في ظل أحداث تلك الأزمة خصصنا في هذا العدد ملفاً خاصاً حولها بعنوان (أزمة الائتمان العالمية في ضوء الشريعة الإسلامية) كما يحتوي العدد على موضوع الترجمة ودورها في حوار الحضارات وهل يمكن أن نتخيل عالماً بدون ترجمة؟ وما هو الدور الذي لعبته الترجمة في تعريف الحضارات البشرية على بعضها البعض؟ هذه هي بعض الأسئلة التي نود طرحها هنا باعتبار أن الترجمة تمثل رفضاً لأطروحة صموئيل هنتنغتون عن صراع الحضارات. وموضوعاً عن العمارة الإسلامية وكيف اتسمت بطابع يميزها عن مثيلاتها من العمارات والزخارف والتصميمات وبأساليب وأنماط فريدة، ونقدم أيضاً في هذا العدد لقاء مع سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك أثناء انعقاد مؤتمر منظمة المرأة العربية بالعاصمة أبوظبي وهناك العديد من المواضيع التي تثري القارئ ثقافة ومعرفة.

الـرؤيـة

ثقافة إسلامية وسطية

الرسـالة

نشر الثقافة الإسلامية وترسيخ الهوية الوطنية من خلال رعاية المساجد والعناية بالقرآن الكريم والتراث الإسلامي وإصدار الفتاوى والبحوث وتنمية العمل الخيري بمنهج وسطي بموارد بشرية متميزة ووفق أحدث النظم التقنية

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري
ص.ب 3135 دبي - هاتف: 6087513 - 04

الضياء
مجلة إسلامية ثقافية اجتماعية تصدر عن دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
العدد ١١٠ ديسمبر - ٢٠٠٨م - ذو الحجة ١٤٢٩هـ

المشرف العام
د. حمد بن الشيخ أحمد الشيباني
المدير العام لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري

رئيس التحرير
سعيد خميس الرحومي

مدير التحرير
يوسف سعد البوسميط

تنفيذي التحرير
محمد توفيق أحمد

هيئة التحرير
هلال علي الجزيري
أشرف محمد شبل
بهاء الدين السنهوري
فاطمة اربابي

التصميم والإخراج الفني
جمال الدين حلوم

صف وطباعة
كامل خالد حداد

مصور
خادم حسين

التنسيق والمتابعة
سالم الثويني - إسحاق أحمد

ذكرى عزيزة

في هذه الأيام المباركة تمر علينا ذكرى عزيزة ومرحلة جديدة من العطاء والتقدم والرفاهية انها الذكرى الثالثة لعيد جلوس صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي ذلك اليوم الأغر الذي يعني لأبناء الإمارات عهداً وعصراً جديداً نظراً لما يتميز به سموه من بصيرة ثاقبة تجاوزت التحديات واكتست بالحكمة والاعتدال في مسيرة مباركة لخير الوطن العزيز الغالي ، لقد حدد سموه منذ توليه الفلسفة التي يتبعها حيث قال « ان الحاكم ما وجد الا ليخدم شعبه ويوفر له سبل العيش والرفاهية والتقدم ومن أجل هذا الهدف كان سموه دائماً وسط شعبه يتحسس رغباته ويعرف مشكلاته.

فالقيادة والشعب عنده عنصر واحد غير قابل للتجزئة ولا حواجز بينه وبين الرعية ، وهذه القيم الأصيلة هي تقاليد مجتمع الامارات المتوارثة على مر العصور.

وانطلق وفق هذه الأسس الثابته لتحقيق حلمه ودخل سباقاً مع الزمن وحمل على عاتقه النهوض بمسؤوليات ارساء القواعد الصلبة التي ارتفع فوقها صرح الامارات عالياً خفاقاً ، فنحن اليوم نشهد تطوراً ملموساً في كافة المجلات ونهجاً في العمل واستنهاض الهمم واستنفار الروح الوطنية للمشاركة في مسؤوليات العمل الوطني وبذلك أرسى سموه حفظه الله نموذجاً فريداً في القيادة والزعامة والمكانة التي يحظى بها سموه على الصعيد الوطني والأقليمي والدولي .

ان سموه لا تفيه الكلمات حقه لأنه أكبر منها فهو صاحب مواقف عربية واسلامية وعالمية تحسب له حيث لم يترك أي مناسبة الا وكانت له مساهمات انسانية وحضارية ويكفينا فخراً أنه اطلق مبادرة دبي للعطاء ونور دبي والعديد غيرها تنشر الخير والعطاء في جميع أرجاء العالم .

فالتهنئة نزجيها بهذه المناسبة الغالية بأسمى آيات التهاني والتبريكات إلى شعبنا العزيز بمناسبة عيد جلوسه الميمون أعاده الله علينا والإمارات تنعم بمزيد من التقدم والنماء والرخاء .

د. حمد بن الشيخ أحمد الشيباني
المشرف العام

14 أزمة الائتمان العالمية في ضوء الشريعة الإسلامية

34 الترجمة ودورها في حوار الحضارات

38 العمارة الإسلامية من خلال جامع القرويين بفاس

52 ظاهرة بلجيكية إسلامية .. جون فرنسوا باستان

42 الزائدة الدودية تشهد بعظمة الله

46 سعار الغلاء ... يصيب أسعار الحج في أنحاء الوطن العربي

56 سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك: منظمة المرأة العربية قادرة على مواكبة المتغيرات العالمية

58 نبيل لوقا مفكر مسيحي يدافع عن الإسلام ونبيه

61 كل الشراب .. واشرب الطعام .. كيف نأكل ونشرب؟

6 الأزمة الاقتصادية.. العالمية

الأزمة الاقتصادية العالمية.. حديث الساعة، تأثيراتها امتدت حتى وصلت للفرد العادي في أقصى الشمال وأقصى الجنوب، فلم يعد بد من الاهتمام بها والوقوف على أهم أسبابها لتجنبها، والتنبيه على طرق علاجها للخروج من مأزقها

اللجنة العليا لمؤتمر المصارف الإسلامية تواصل اجتماعاتها التحضيرية

عقدت اللجنة العليا لمؤتمر المصارف الإسلامية الذي تعقده دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي في الفترة من ٢١ مايو ولغاية ٢٠٠٨/٦/٢م اجتماعها التحضيري لاستضافة المؤتمر برئاسة الدكتور حمد بن الشيخ أحمد الشيباني المدير العام للدائرة رئيس اللجنة العليا حيث استعرض الاجتماع مهام اللجان المختلفة وما تم انجازه حتى الآن وحث الدكتور الشيباني أعضاء اللجنة على إنجاح وإبراز الحدث باعتباره يجيء مواكباً للأزمة المالية العالمية وأكد على ضرورة تقديم الجديد والمستحدث من المستكتبين والباحثين.

وقال الدكتور عمر محمد الخطيب مساعد المدير العام للشؤون الإسلامية المنسق العام للمؤتمر إن العمل يجري على قدم وساق لاستضافة هذا المؤتمر الذي يواكب تداعيات الأزمة المالية العالمية خاصة أن هذه الأزمة أسهمت في إبراز النظرة الاقتصادية الإسلامية وأنها الأنسب والأفضل للإنسان في كل زمان ومكان وفيها حفظ للمال والاقتصاد مؤكداً أن الدائرة من هذا المنطلق تسعى إلى نشر النظرة الاقتصادية الإسلامية وإيجاد حلول عملية للمشكلات المعاصرة المتعلقة بالنقود من خلال البحوث والدراسات وحلقات النقاش.

وأشار إلى أن اللجنة قررت أن يكون عدد الباحثين العارضين لبحوثهم ٣٦ باحثاً وهي صفوة البحوث، أما البحوث المقبولة الأخرى ستطبع وتكون ضمن أجندة المؤتمر وسيتم دعوة ما يقارب ٥ باحثين من الذين كتبوا بحوثاً متميزة ولم تحظ بالعرض. كما سيتم نقل وقائع المؤتمر على الانترنت مباشرة.

بعد عشر سنوات من تأسيسه المركز الإسلامي بإسكتلندا منبر لنشر المودة والتراحم والتسامح بين الناس

أدنبرة. وكالات الأنباء

أقام مسجد الملك فهد والمركز الإسلامي في مدينة أدنبرة في إسكتلندا احتفالاً. بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسه. وأثنى سفير السعودية في المملكة المتحدة وأيرلندا محمد بن نواف بن عبد العزيز على الدور الذي ينهض به المركز الإسلامي في مدينة أدنبرة كعنصر فاعل في تعزيز الحوار والتواصل بين مختلف الثقافات وكمركز يخدم المسلمين جميعاً في المنطقة التي يقع فيها ويخدم من خلالهم المجتمع الذي يعيشون فيه.

وحضر الحفل عمدة مدينة أدنبرة اللورد جورج قرب ووزير العدل الاسكتلندي كيني ماكيسكل وعدد من أعضاء البرلمان والمجلس البلدي الاسكتلندي وشخصيات بارزة من ممثلي الجالية الإسلامية والجاليات الأخرى.

وألقى مدير المركز الإسلامي في أدنبرة حمد بن سليمان المطرودي كلمة أكد فيها القيم السامية التي يدعو إليها الدين الإسلامي من مودة وتراحم وتسامح بين الناس، مشيراً إلى الدور الإيجابي الذي ينهض به المركز في تعزيز ونشر هذه القيم بين الجاليات الإسلامية وغيرها في المجتمع الاسكتلندي.

فيما ألقى وزير العدل الاسكتلندي كلمة أكد فيها أن الحوار بين أتباع الأديان أمر عظيم ومهم يسهم في التفاهم المتبادل والموجود في مجتمع أدنبرة، مشيراً إلى الجهود التي يقوم بها مسجد ومركز الملك فهد في هذا السياق.

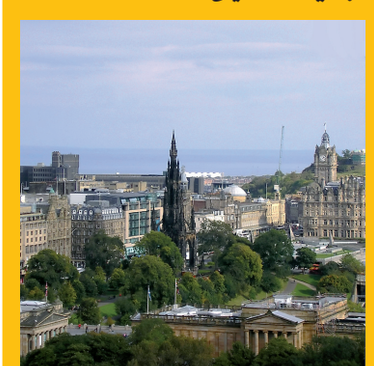

تقارير إخبارية

إطلاق قناة فضائية تهتم بالعمل الإنساني

الرياض- إينا

بدأت قناة الإنسانية الفضائية والتي تنطلق من المملكة العربية السعودية وتعتبر أول قناة عالمية لذوي الإعاقة والأعمال الإنسانية بثها عبر القمر نايل سات.

وأوضح الأمير الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن رئيس مجلس الإدارة بأن قناة الإنسانية الفضائية تعتبر أول قناة عالمية تعنى بذوي الإعاقة والأعمال الإنسانية في العالم العربي، مشيراً إلى أنها تخاطب جميع فئات المجتمع على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم بأسلوب عصري.

وأشار إلى أن القناة تهدف لتقديم رسالة إعلامية جديدة ومتميزة عبر القوالب التلفزيونية المختلفة التي تتميز بمهنية عالية، مبيناً بأنها تسعى بذلك لتكون الرائدة في مجال العمل الإنساني عربياً وعالمياً.

وبين بأن القناة ستعمل على بناء جسور إعلامية فاعلة بين مفردات منظومة العمل الإنساني العربي والعالمي، مبيناً بأن أعمال القناة تلتزم بالاستقلالية والشفافية والحيادية كما أنها تعتمد على البحث العلمي الذي يضمن تحسين جودة الإنتاج والأداء بشكل مستمر.

وأضاف رئيس مجلس الإدارة بأن القناة تهدف لنشر وتعزيز ثقافة العمل الإنساني لدى الجمهور العربي والتعريف بقضايا واحتياجات ذوي الإعاقة وبناء جسور التواصل بينهم وبين المجتمع المحلي والإقليمي والعالمي إلى جانب التعريف بالمعايير الدولية المتعلقة بحقوق ذوي الإعاقة.

اختتام أول مؤتمر حواري جمع علماء مسلمين ومسيحيين

نيوهافن - نسيج

أشاد مسيحيان إنجيليان بارزان، بالحوار بينهما وبين مشايخ المسلمين في ختام مؤتمر استمر ثلاثة أيام هدفه كان إيجاد سبل لتخفيف التوترات بين أكبر ديانتين في العالم.

في حين ذكر ليث أندرسون رئيس الرابطة الوطنية للإنجيليين، وجوف تونيكليف المدير الدولي للتحالف الإنجيلي العالمي أن البعض من أتباعهما انتقدوا مشاركتهما في المؤتمر بوصفها تنازلا للدين الإسلامي.

إلا أن الرجلين قالا في الجلسة الختامية للمؤتمر إنهما استطاعا أن يناقشا بصراحة اختلافاتهما الدينية مع المشاركين المسلمين في المؤتمر والاتفاق في الوقت نفسه على إيجاد مزيد من التجانس والقواسم المشتركة معهم.

وأفاد أندرسون من الرابطة التي يوجد مقرها في واشنطن (خلافاتنا عميقة وحقيقية، لكنني تأثرت هذا الأسبوع كثيراً بالصراحة المريحة التي عبر بها المسلمون والمسيحيون عن معتقداتهم بعضهم لبعض).

كما سمح المؤتمر الذي نظمته كلية اللاهوت في يال وجماعة كلمة سواء للعلماء المسلمين الذي دعوا المسيحيين إلى هذا الحوار التاريخي للمشاركين بشرح معتقداتهم.

وقال محمد بشاري الأمين العام للمؤتمر الإسلامي الأوروبي (في هذا الحوار لا نناقش مذاهب أو معتقدات، بل نحن نحاول إيجاد قواسم مشتركة للأديان للعمل معا كما أراد الله).

وأكد المشاركون في البيان الختامي تأييدهم لحرية الدين والاحترام المتبادل وهي أمور مهمة للمسيحيين الذي يقولون إن الدول التي يغلب المسلمون على سكانها تحد من حقوق الأقليات الدينية وللمسلمين الذين يتهمون المجتمعات الغربية بالتحامل على الإسلام. وقال المفتى العام في البوسنة مصطفى تسيرتش، بحسب موقع قناة (الكوثر) الفضائية: لقد كسرنا جليد عدم الثقة بين الغرب والإسلام بواسطة هذه المبادرة، وفي الشؤون العالمية اليوم، القاعدة ينبغي أن تكون حجة القوة، بل قوة الحجة. وقال تسيرتش، إنه قد حان الأوان لحوار جدي بين قادة الدين السائد بعد سنوات من هيمنة عنف المتطرفين بين الطرفين على عناوين الأخبار.

ووافق ميروسلاف فولف، لاهوتي من ييل، بأن هذا المؤتمر ولقاءات حوار بين الأديان حدثت مؤخراً في أوروبا والشرق الأوسط تشير إلى اهتمام متنام بالسعي إلى تفاهم مسيحي-إسلامي أفضل، وقال: لا ريب إن هناك شيئا وشيكاً يلوح في الأفق.

يذكر أن مشروع (كلمة سواء)، الذي أطلقه ١٣٨ عالماً مسلماً في شهر أكتوبر الماضي، يعتبر أن المسيحية والإسلام يشتركان بقيمتين جوهريتين مشتركتين هما حب الله وحب الجار، وتقول مجموعة هذا المشروع إن الحوار حول هذه النقطة بين الخبراء بمقدوره أن يهدئ من التوترات بين الديانتين والذي استجاب له قادة دينيون مسيحيون بشكل إيجابي.

(السيرة النبوية) في سلسلة من أفلام الرسوم المتحركة

بدأت شركة (الآء) للإنتاج الفني مؤخرا سلسلة جديدة من إنتاجها المتخصص في أفلام الرسوم المتحركة والتي تغطي السيرة النبوية بدءاً مما قبل البعثة النبوية وحتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقال المدير العام للشركة أسامة خليفة، بحسب جريدة (الوطن) السعودية، إن الشخصيات الثانوية في الأحداث هي التي ستروي قصص السيرة النبوية، وسوف تتحدث الكائنات والأشياء عن علاقتها بالنبي الكريم وصحابته رضوان الله عليهم.

وأضاف خليفة الذي انتهى من إنتاج فيلم يتحدث عن فلسطين مؤخراً: إن (السيرة النبوية) ستكون سلسلة طويلة، وستروى على حلقات منفصلة مدة كل منها ٢٠ دقيقة، حيث تروي الشجرة التي شهدت بيعة الرضوان الأحداث بتفاصيلها عبر شخصيات كرتونية تستنطق الأشياء والناس حول تفاصيل من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

الأزمة الاقتصادية.. العالمية

د. سليمان عمر سليمان

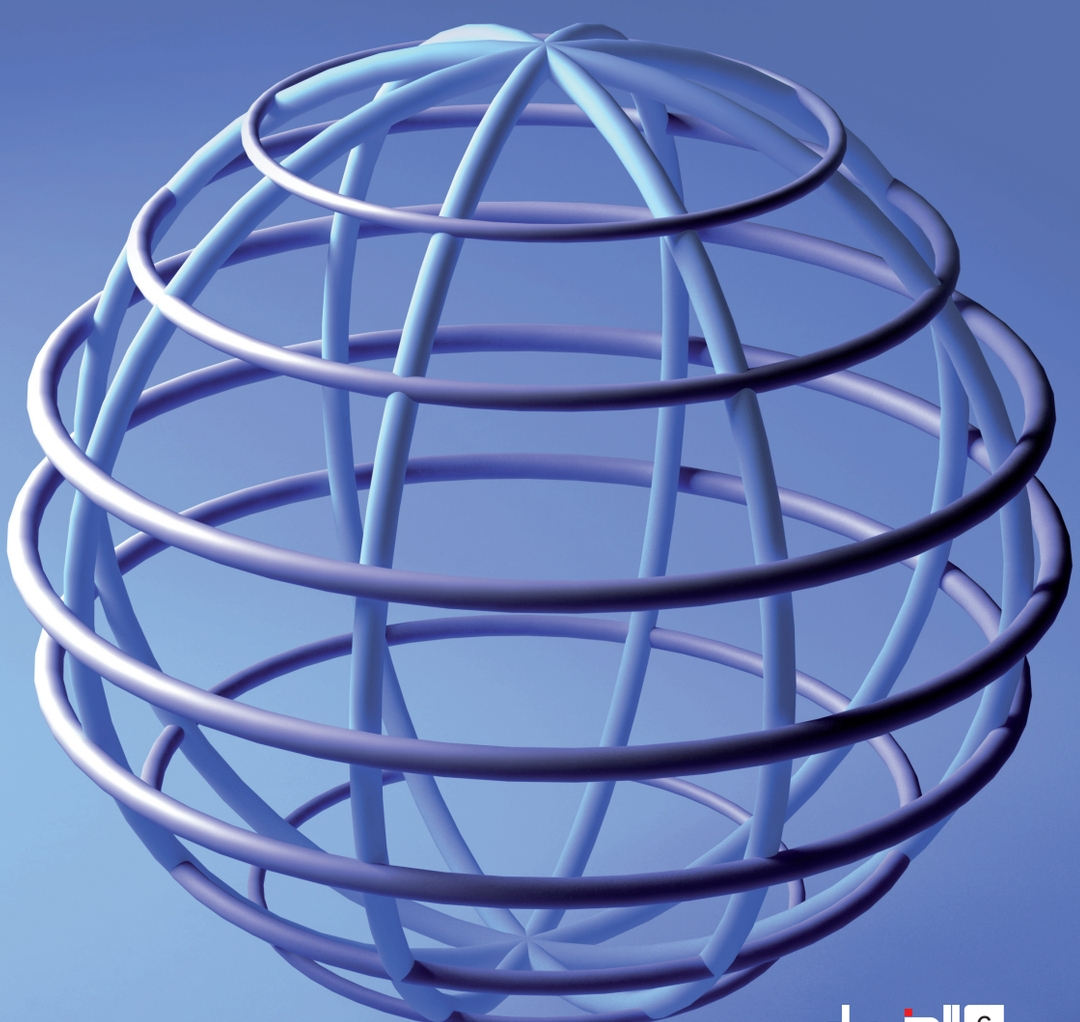

الأزمة الاقتصادية العالمية.. حديث الساعة، تأثيراتها امتدت حتى وصلت للفرد العادي في أقصى الشمال وأقصى الجنوب، فلم يعد بد من الاهتمام بها والوقوف على أهم أسبابها لتجنبها، والتنبيه على طرق علاجها للخروج من مأزقها

البطاقات الائتمانية صنعت الأزمة

والشريعة الإسلامية برحابتها لم تترك الإنسان هكذا يعيش في متتالية من المحرمات دون أن توجد له البديل الحلال الآمن.. بل أوجدت البدائل لكل ما حرمته، وحينما نتحدث عن اقتصاد إسلامي فنحن نتحدث عن بديل نافع أثبتت التجربة صدق الدعوة إليه.

إن ملامح الأزمة المالية الحالية تتلخص في أن المؤسسات المالية قدمت قروضًا هائلة للتمويل العقاري بلغت حوالي ١١ تريليون دولار لشراء المنازل، كما قدمت مبلغًا مماثلا بصفة قروض استهلاكية بموجب بطاقات الائتمان، ثم قامت ببيع هذه القروض إلى شركات التوريق، وأعادت إقراض ما حصلته في تمويل عقاري جديد مرات متتالية.

وقامت شركات التوريق بإصدار سندات بقيمة هذه القروض وطرحتها في أسواق المال، وتم تداولها وبيعها لآخرين ومنهم إلى غيرهم في تيارات متتالية، وذلك بأسعار أكثر من قيمتها الاسمية اعتمادًا على ما تدره من فوائد والتي بدأت بسيطة لمدة سنتين ثم تتزايد بعد ذلك.

وفي المقابل قام المقترضون أصحاب المنازل بإعادة رهن العقارات بعد تقويمها بمبالغ أكثر من قيمتها الأصلية، والحصول على قروض من مؤسسات أخرى والتي بدورها باعت هذه القروض إلى شركات التوريق التي أصدرت بموجبها سندات، وطرحتها في أسواق المال والبورصات للتداول.

وفي خطوة ثالثة تم إصدار أدوات مالية (مشتقات) للمضاربة على فروق أسعار هذه السندات، وتم طرحها في الأسواق هي

الأخرى، وتم تداولها منفصلة عن السندات، وبالتالي حملت المنازل بعدد كبير من القروض التي تفوق قيمة هذه المنازل، وانقطعت الصلة بين حملة السندات وبين المقترضين بضمان العقارات.

وحينما تشبع السوق العقاري، وقل الطلب انخفضت أسعار المنازل أو العقارات، وفي ظل تزايد الفوائد وعدم قدرة أصحابها على إعادة بيعها، أو رهنها والحصول على قروض جديدة توقفوا عن سداد أقساط القروض وفوائدها، وهنا بدأت أسعار السندات في الانخفاض، واتجه حملتها إلى بيعها بخسارة، وتوقفت المؤسسات المالية عن الإقراض؛ نظرًا لتعثر المقترضين السابقين، وبالتالي قل الطلب مرة أخرى على العقارات فانخفضت قيمتها.

الشريعة الإسلامية برحابتها لم تترك الإنسان هكذا يعيش في متتالية من المحرمات دون أن توجد له البديل الحلال الآمن

ومن المقرر قانونًا أن المؤسسات المالية المقدمة للقروض رغم بيعها تعتبر مسئولة مع شركات التوريق عن متابعة تحصيل الأقساط والفوائد وتسليمها لحملة السندات، وبتوقف المقترضين عن السداد تركوا المنازل للمؤسسات المالية، والتي أصبحت قيمتها أقل بكثير من قيمة القروض، فضلا عن عدم إمكان هذه المؤسسات بيعها؛ للركود الحاصل في سوق العقارات، وبالتالي أصبحت هذه القروض رديئة لا يمكن تحصيلها والممولة أصلا من ودائع عملاء آخرين، فبدأ العملاء في سحب جماعي لأموالهم عجزت معه المؤسسات المالية عن مواجهة السحب

فأعلنت إفلاسها، وفي المقابل انخفضت أسهمها وأسهم شركات الاستثمار العقاري التي تقدم قروضًا أيضًا فأدى ذلك إلى انهيار الأسواق المالية.

وهناك بالطبع أساليب وممارسات حرمها الإسلام، هي التي أسهمت بصورة أساسية في تلك الأزمة، ومنها موضوع الرهن العقاري مثلا.. وصورته: أن يتم التعاقد بعقد ثلاثي الأطراف بين مالك لعقار، ومشتر وممول (بنك أو شركة تمويل عقاري)، على أن يقوم المالك ببيع العقار للمشتري بمبلغ معين، ويدفع المشتري جزءًا من الثمن (١٠٪ مثلا) ويقوم الممول في ذات العقد بدفع باقي الثمن للبائع مباشرة واعتباره قرضًا في ذمة المشتري مقابل رهن العقار للممول، ويسدد القرض على أقساط طويلة الأجل (ما بين ١٥ ـ ٣٠ سنة) بفائدة تبدأ عادة بسيطة في السنتين الأوليين ثم تتزايد بعد ذلك، ويسجل العقار باسم المشتري ويصبح مالكه، له حق التصرف فيه بالبيع أو الرهن.

وكان موضوع الرهن العقاري هو السبب الرئيسي للأزمة؛ لأن البنوك أهملت في التحقق من الجدارة الائتمانية للمقترضين وأغرتهم بفائدة بسيطة في البداية، ثم تزايدت وتوسعت في منح القروض؛ مما خلق طلبًا متزايدًا على العقارات، إلى أن تشبع السوق فانخفضت أسعار العقارات وعجز المقترضون عن السداد، وكانت البنوك قد باعت هذه القروض إلى شركات التوريق التي أصدرت بها سندات وطرحتها للاكتتاب العام، وبالتالي ترتب على الرهن العقاري كم هائل من الديون مرتبط بعضها ببعض في توازن هش أدى إلى توقف المقترضين ومن ثم إلى انهيار هذا الهرم وحدثت المشكلة.

البديل الإسلامي

نعم هناك بديل، وهذه الصورة التي يمارس بها الرهن العقاري غير جائزة شرعا، وقد أصدرت العديد من المجامع الفقهية قرارات في هذا الأمر.

أما البديل فهو ما تتعامل بها المؤسسات المالية الإسلامية؛ حيث تقوم مؤسسة التمويل بشراء العقار وبيعه مرابحة، وكذا إبرام عقد استصناع (مقاولة) مع العميل لبناء المبنى، وتوجد صورة أخرى تطبق في المؤسسات المالية الإسلامية العاملة في أمريكا.

كما أن هناك صورة أخرى هي صورة (المشاركة التأجيرية)، بمعنى أن يشترك العميل والمؤسسة المالية في شراء العقار، ثم تؤجر المؤسسة المالية حصتها للعميل، وفي نفس الوقت تبيع له كل سنة جزءًا من حصتها، حتى ينتهي العقد بتملك العميل للعقار.

ثم إن هناك ممارسة أخرى باطلة أيضا وهي عملية إعادة بيع أو رهن العقار، فكثيرًا ما يقوم المشترون ببيع العقار المرهون أو رهنه مقابل قرض جديد بفائدة، وبالتالي يتحمل العقار الواحد بحقوق رهن متعددة، وما حدث في الأزمة أنه عند توقف المقترض عن السداد لم تكف قيمة العقار المرهون عن سداد القرضين.

وهذه المسألة باطلة شرعًا لأمرين: أولهما أنها معاملة تنطوي على قرض جديد بفائدة ربوية والربا محرم شرعًا، وثانيهما أن الفقه الإسلامي على أنه لو رهن الشخص الشيء المرهون بدين آخر غير الأول بدون إذن المرتهن لا يصح، ولو بإذن يصح الرهن الثاني، ويبطل الرهن الأول؛ لأن الرهن حق على عين ولا يجتمع حقان على عين واحدة، وكذا إذا باع الراهن الشيء المرهون يصير الثمن رهنًا لا يجوز التصرف فيه، فإذا أذن المرتهن للراهن بالبيع والتصرف في الثمن سقط حقه في الرهن، وبالتالي يكون القرض خاليًا من الرهن.

عملية (التوريق) رقم هام في معادلة الاقتصاد العالمي وأزمته الحالية.. وتلك العملية فيها كلام كثير للشريعة الإسلامية.. فهل لكم أن تشرحوا لنا كيف تتم هذه العملية أساسا، وما دورها في تلك الأزمة، وموقف الشريعة الإسلامية منها؟

التوريق باختصار هو قيام البنوك وشركات التمويل العقاري مثلا ببيع دين القروض المتجمعة لديها على العملاء الذين اشتروا العقارات إلى إحدى الشركات المتخصصة، والتي تسمى قانونًا (شركات التوريق) وهذا البيع يكون بمقابل معجل أقل من قيمة الدين.

ثم تقوم شركة التوريق بإصدار سندات بقيمة هذه الديون بقيمة اسمية لكل سند، وتطرحها للاكتتاب العام (بيعها) للأفراد والمؤسسات بقيمة أكبر وأقل من القيمة الاسمية (أي بعلاوة أو خصم إصدار) ويحصل حملة السندات على فوائد القروض، وتتولى شركة التوريق مع شركة التمويل عملية تحصيل الأقساط والفوائد، أقصد الفوائد من المقترضين الأصليين وتوزعها على حملة السندات.

وبذلك تحصل شركة التمويل على سيولة، وتكسب شركة التوريق الفرق بين قيمة القروض وبين ما دفعته لشرائها، ويكسب حملة السندات فائدة، كما يمكنهم تداول هذه السندات في سوق المال بالبيع لغيرهم بأسعار أكثر من سعر شرائهم

الرهن العقاري هو السبب الرئيسي للأزمة؛ لأن البنوك أهملت في التحقق من الجدارة الائتمانية للمقترضين وأغرتهم بفائدة بسيطة في البداية

لها في حالة ارتفاع سعر فائدتها عن سعر الفائدة السائدة، وقد يبيعونها بخسارة عندما يقل سعر الفائدة، أو يحتاجون لسيولة عاجلة، وباستمرار تداول السندات تنتقل الملكية إلى عديدين في داخل البلاد وخارجها.

وفي المقابل فإنه عندما يقترض مشترو العقارات من مؤسسات مالية أخرى برهن نفس العقارات، تقوم هذه المؤسسات ببيع هذه القروض إلى شركة توريق التي تصدر بها سندات وتطرحها في الأسواق.

وبالتالي يصبح للعديد من الناس والمؤسسات حقوقًا على العقار، وتتزايد قيمة الأوراق المالية المصدرة عن قيمة العقارات، وإذا حدث وتحولت هذه القروض إلى قروض رديئة لتعثر مالكي العقارات عن السداد، أو تنخفض قيمة العقارات في الأسواق، فإن حملة السندات يسارعون إلى بيع ما لديهم فيزيد العرض وينخفض سعرها، وتزيد الضغوط على كل المؤسسات المالية وشركات التوريق.

التوريق بما ينتجه من تضخم لقيمة الديون وانتشار حملة سندات الدائنين وترتيب مديونيات متعددة على نفس العقار هو حجر الزاوية في حدوث الأزمة المالية

وهكذا يمكن القول إن التوريق بما ينتجه من تضخم لقيمة الديون وانتشار حملة سندات الدائنين وترتيب مديونيات متعددة على نفس العقار هو حجر الزاوية في حدوث الأزمة المالية.

إن التوريق للديون في حد ذاته غير جائز شرعًا؛ لأن عملية التوريق تكون ببيع الدين لشركة التوريق بأقل من قيمته، وهذا يعني أن تدفع الشركة أقل وتأخذ أكثر وهو عين الربا. أيضا لأن السندات تدر دخلا عبارة عن فوائد وهي ربا، وكذلك فعادة ما يتم تداول هذه السندات في البورصة بالأجل أو على أقساط وهو من بيع الدين بالدين المنهي عنه شرعًا.

وقد أصدرت العديد من المجامع الفقهية قرارات بهذا الشأن، وأصبح الاجتهاد في تحريمها جماعيا يقطع الطريق على أي مزايد.

لكن اسمح لي يا دكتور.. البعض يتحدث على أن العملية ليست بيعًا لدين، ولكنها تدخل في إطار ما يسمى قانونًا "بحوالة الحق" أي أن شركة التمويل تحيل حقوقها الناشئة عن التمويل العقاري إلى شركة التوريق مقابل ما تدفعه لها، مثل الحوالة التي يحيل فيها المدين دائنه على آخر مدين له.. فما تعليقكم؟

يا سيدي، هذا قياس مع الفارق؛ لأنه يشترط في الحوالة تساوي الدينين الأصلي والمحال به، وأما في حوالة الحق

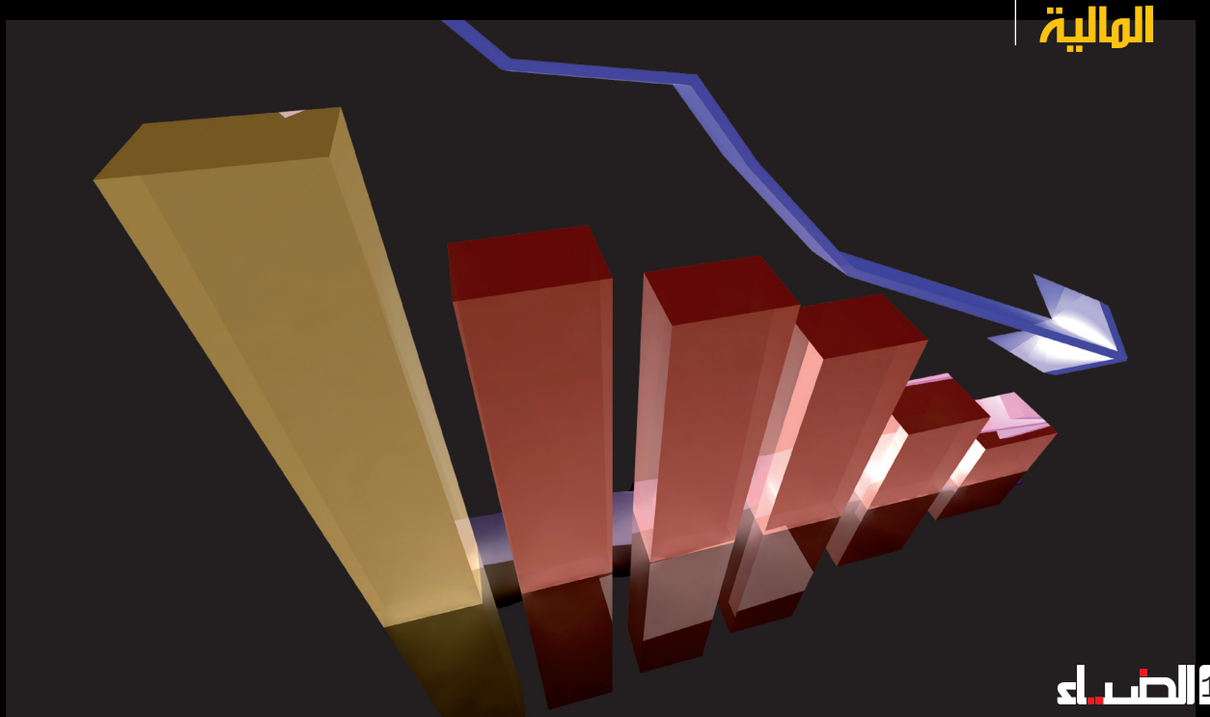

من خلال عملية التوريق فإن شركة التوريق تعطي لشركة التمويل مبلغًا أقل من الدين الأصلي المشترى".

الربا محرم.. أيًا كان

وماذا عن الفوائد الربوية التي حرمتها الشريعة الإسلامية.. معلوم أن الاقتصاد العالمي يقوم عليها منذ بداية تكونه، لكننا نريد تحديدا أن نفهم دور تلك الفوائد في هذه الأزمة، وهل القضية الأساس في الفوائد كنظام، أم في زيادتها عن الحد المعقول أو المتعارف عليه؟

نعم.. القضية في الربا كنظام، لا في زيادته أو نقصانه، فهو على كل أحواله ربا.. وعمليات التمويل العقاري وتوابعها والتي كانت السبب الرئيسي في الأزمة المالية العالمية تقوم على الفوائد على القروض.

وبإجماع المسلمين قديمًا وحديثًا، فإن فوائد القروض ربا محرم شرعًا، والربا في الإسلام من أشد الجرائم الاقتصادية والاجتماعية؛ لمخالفة مرتكبيه لأمر الله تعالى القائل سبحانه: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾، والنصوص التي تتوعد بأكثر من عقوبة كثيرة في القرآن الكريم.

فمثلا: هناك وعيد بالمحق وذهاب البركة بذهاب المال أو نفعه، يقول تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الربا وإن كثر فإن عاقبته إلى قل»، وها نحن نرى أن البنوك وشركات التأمين وحملة السندات، وكل من تعامل بالربا خسر أصل ماله والفوائد.

كما أن هناك وعيدا بالحرب من الله ورسوله، يقول تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ»، وها هي الحرب قامت في صورة إعصار مالي عالمي على جميع المؤسسات الربوية والمتعاملين معها.. وغير ذلك من الوعيد بعقوبات متنوعة مما يؤكد ردا على سؤالك أن الربا كنظام أيا كان المسمى مرفوض إسلاميا.

هناك بعض المصطلحات التي سمع الناس بها كمفردات لهذه الأزمة، ومنها (المشتقات المالية)، ما تلك المشتقات، وما دورها باختصار في تلك الأزمة؟

المشتقات المالية هذه اختراع شيطاني؛ ذلك لأن الجشع والطمع لمزيد من الفوائد التي هي عين الربا، كانت المحرك لابتكارها،

وهي حسب تعريفاتهم ليست أصولا مالية، وليست أصولا عينية، وإنما هي عقود كسائر أنواع العقود، يترتب عليها حق لطرف والتزام على الطرف الآخر.

وسأضرب لك مثالا حتى يتضح الأمر.. هناك شخص مثلا يريد أن يشتري أسهمًا أو سندات بسعر اليوم على أن يتسلمها في المستقبل ودون أن يدفع الثمن حالا، ويخشى إن انخفضت أسعارها بعد تسلمها أن يخسر فيها عند بيعها، فيتفق مع البائع على أن يعطيه حق الخيار في الرجوع عن الصفقة بمقابل لهذا الحق في الاختيار، وليكن ٥ جنيهات مقابل كل سهم أو سند، ودون إلزام لمشتري حق الخيار في شراء الأسهم، ويتم إصدار ورقة مالية بقيمة حق الاختيار هذا تتداول في السوق بأسعار متغيرة، أي يبيع حق الشراء أو عدمه لشخص آخر، إن انخفضت أسعار الأسهم أكثر من ٥ جنيهات يكتفي بخسارتها ويتم تصفية العملية، وإن ارتفعت أسعار الأسهم أكثر من ٥ جنيهات لا يشتري ولكن يأخذ الفرق من البائع، أي أن المعاملة تدور حول حق الخيار، فكأنها مراهنة على الأسعار في المستقبل.

وهذا يتم بالنسبة للأسهم والسندات والسلع والنقود وأسعار صرفها، وأسعار الفوائد، بل وصل الأمر إلى إصدار أوراق مالية بمؤشرات البورصات أي المراهنة على انخفاض أو ارتفاع المؤشر يومًا بعد يوم.

بالطبع سيكون بدهيا تحريم الشريعة لمثل تلك المعاملات، لكن السؤال هو: كيف كان تأثير تلك المشتقات المالية بأنواعها المختلفة على الأزمة الحالية؟

بالطبع المشتقات بهذا الشكل غير جائزة شرعًا، وقد صدرت فيها قرارات للمجامع الفقهية. أما عن أثرها الذي سألت عنه، فيظهر فيما كان من توسع في اشتقاق أدوات مالية

جديدة تعتمد على الثقة في تحقيقها مكاسب في المستقبل، ونظرًا لانهيار أسعار الأسهم والسندات الصادرة عن البنوك والشركات الاستثمارية انهارت قيمة هذه المشتقات، وحدث ذعر في الأسواق المالية نتيجة لتكالب الجميع على تصفية مراكزهم، فانخفضت مؤشرات الأسواق انخفاضًا كبيرًا أدى إلى شلل هذه الأسواق، ومن عجب أن من أهم أهداف هذه المشتقات هو مواجهة المخاطر التي يمكن أن تحدث، وأظهرت الأزمة عجزها حتى عن حماية نفسها.

وبالطبع.. المضاربات قصيرة الأجل من الأساليب التي أشعلت نيران الأزمة وهي تقوم على توقعات المضاربين بتغير الأسعار في الفترات القصيرة لكسب فروق الأسعار، وزيادة حجم التعامل بإتاحة التعامل لمن لا يملك مالا أو أوراقا مالية.

ملامح الأزمة المالية الحالية تتلخص في أن المؤسسات المالية قدمت قروضًا هائلة للتمويل العقاري بلغت حوالي ١١ تريليون دولار لشراء المنازل

وهذه المضاربات كما قلت لها آليات كثيرة منها مثلا البيع على المكشوف وهومايحدثمثلا حينمايتوقع شخص انخفاض سعر ورقة مالية (سهم أو سند) في المستقبل القريب، فيضارب "يقامر" على الهبوط، ويقترض من السمسار من المخزون لديه، أو يقترض السمسار له من شخص آخر عددا من هذه الأسهم، أو السندات ليبيعها حالا لحسابه بالسعر المرتفع، ويظل المبلغ لدى السمسار يستثمره دون أن يدفع عنه فوائد.

وبعد مدة قصيرة إن صدق توقع المضارب وارتفع السعر يأمر السمسار بشراء بدل منها، ويسلمها للمقرض ويكسب هو الفرق بعد دفع عمولة السمسار، وإن لم يصدق توقعه وانخفضت الأسعار يكون ملزمًا بدفع مبلغ لتكملة ثمن شرائها لردها إلى صاحبها الأصل.

وهناك آليات أخرى كالشراء بالهامش، وغيرها، وكلها غير جائزة شرعا، وصدرت فيها أيضا قرارات لمجامع فقهية بعدم الجواز.

وما يؤكد أن تلك المعاملات ذات صلة وثيقة بهذه الأزمة أن المسئولين أصدروا قرارات بوقف المضاربات قصيرة الأجل لمدة ١٢ يومًا في أمريكا، ولمدة أربعة شهور في إنجلترا، وعلى الأخص أسلوب البيع على المكشوف؛ وذلك لقناعتهم بإسهامها في إذكاء تلك الأزمة.

انفصام حقيقي

نعم.. هذا حقيقي.. هناك انفصام واضح بين الاثنين؛ ذلك لأن الاقتصاد في حقيقته هو النشاط الذي يدور حول توفير السلع والخدمات لإشباع الحاجات الإنسانية من خلال وظائف اقتصادية مثل الإنتاج، والتوزيع، والاستهلاك، ولكن هذا يتطلب التبادل؛ لأنه لا يوجد أحد يمكنه إنتاج ما يحتاجه من سلع وخدمات بنفسه، والتبادل يحتاج إلى تمويل ومن هنا وجد الاقتصاد المالي لخدمة الاقتصاد الحقيقي.

ولكن السوق المالية انفصلت عن السوق الحقيقية، وأصبح يتم التعامل في النقود والتمويل ذاته بيعًا وشراءً من خلال المداينات والائتمان، وترتب على ذلك أن أصبح حجم التمويل المتاح من خلال الائتمان أضعاف قيمة الاقتصاد الحقيقي؛ مما أدى إلى خلل في التوازن بينهما.

ولما كان الاقتصاد المالي أصبح لا يستند إلى قاعدة من الأصول، وإنما إلى أهرامات من الديون التي ركبت بعضها فوق بعض في توازن هش، ومن أجل المزيد من كسب العوائد في صورة فوائد وفروق أسعار، لذا فإن وجود خلل في إحدى حلقات الديون المركبة كما حدث في توقف المقترضين في سوق التمويل العقاري عن سداد القروض انهار البناء المالي بكامله وحدثت الأزمة.

لكن البعض يظن أن معنى ذلك عدم تأثر الاقتصاد الحقيقي، وهو ما لم يحدث، بل الأزمة أن الاقتصاد الحقيقي فعلا تأثر؟

لا.. ليس المقصود ذلك أبدا.. فرغم الانفصام الواقع بين الاقتصاد الحقيقي، والاقتصاد المالي فإن آثار الأزمة ستمتد إلى الاقتصاد الحقيقي؛ لأن الانهيار المالي للبنوك سيجعلها تكف عن الإقراض حتى عن الجزء الصغير الذي يوجه منها للشركات الإنتاجية، بما يجعلها تقلص إنتاجها وتطرد بعضًا من عمالها.

ومن جانب آخر، فإن الخسارة التي مني بها المواطنون جراء تعاملهم في الأسواق المالية جعلتهم يخفضون مشترياتهم من الشركات الإنتاجية وبالتالي يقع الركود الاقتصادي.

وفي الاقتصاد الإسلامي مبادئ تجعل هذا الانفصام مستحيلا.. مثلا: أي تيار مالي لابد أن يقابله تيار سلعي في ربط محكم،

ولا يسمح الإسلام بجني أرباح من خلال التيارات المالية وحدها، وإلا كان هذا ربا.

ولذا جاء القرض الحسن الذي يمثل تيارًا ماليًا شرع من أجل حاجة المقترضين للإنفاق على السلع والخدمات، وبدون أن يحصل المقرض على زيادة على قرضه، ومجرد التعامل في النقود ذاتها.

وهناك عبارة تراثية تنبئ عن فهم عميق لمثل تلك الأمور من فقهاء الإسلام الأول: (ويمنع من جعل النقود متجرًا فإنه بذلك يدخل على الناس من الفساد ما لا يعلمه إلا الله، بل الواجب أن تكون النقود رءوس أمال يتجر بها ولا يتجر فيها).

وهناك بعض التصرفات تخالف المنطق، وهناك بعضها يخالف مبادئ النظام المالي الرأسمالي أصلا.

مثلا.. في البداية قامت السلطات المختصة في الولايات المتحدة الأمريكية بالموافقة على ضخ حوالي ٧٠٠ مليار دولار في السوق المالية لشراء القروض الرديئة من البنوك وشركات التمويل العقاري حتى تتمكن من مواجهة سحب الودائع منها، وتبعتها في ذلك العديد من الدول الأوروبية.

وهذا الأسلوب حتى وإن كان سيسهم في حل الأزمة -مؤقتا- فإنه يعتبر مكافأة للمتسببين في الأزمة بالإهمال وسوء الإدارة لأموال المودعين، ويحمل دافعو الضرائب فاتورة ذلك.

وأيضا، فإن الحكومة سوف تدبر هذا المبلغ من خلال الاستدانة بموجب سندات حكومية تزيد من الدين العام، وعلى حساب الأعباء للأجيال القادمة وتزيد من حجم الأوراق المالية في السوق المالي المنهار هو الآخر لعدم وجود تعاملات، ومن جهة ثانية لو وفرت هذا المبلغ من خلال طبع النقود فإنها ستزيد من التضخم.

أما ما قلت بأنه مخالفة للنظام الرأسمالي نفسه، فيتضح من خلال تدخل الدولة في الاقتصاد بالتأميم والإشراف والرقابة؛ لأن ذلك ضد مبادئ الرأسمالية وخروجًا عن مقتضياتها، ويظهر عدم صلاحية النظام الرأسمالي بمبادئه الأساسية.

وعلى المستوى الإسلامي فإن تدخل الحكومات في الاقتصاد بالتأميم أمر عليه محاذير إسلامية، أما التدخل بالإشراف والرقابة فهو مطلوب، ومن واجبات الحاكم إنشاء الأجهزة الخاصة بمراقبة الأسواق، والمعاملات لضمان التحقق من الالتزام بأحكام الشريعة ومبادئ الأخلاق الإسلامية؛ مما يؤكد أن ما اتخذته السلطات بإقرار الإشراف والرقابة يقتربون به من الاقتصاد الإسلامي.

في الاقتصاد الإسلامي مبادئ تجعل هذا الانفصام مستحيلا.. مثلا: أي تيار مالي لابد أن يقابله تيار سلعي في ربط محكم

كازينوهات المقامرين

إن هذا المطلب أصبح نابعا من داخل المجتمع الرأسمالي ذاته، وهذه ليست شماتة في الرأسمالية أو تعصبًا لديننا، ولكنها كلمة حق يقول بها بعض الغربيين الآن.

منهم مثلا العالم الاقتصادي الفرنسي البارز "موريس آليه" والحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد عام ١٩٨٨م، والذي كتب مقالا مطولا بعنوان: "الشروط النقدية لاقتصاد الأسواق.. من دروس الأمس إلى إصلاحات الغد" سطر فيه انتقادات حادة إلى أسلوب عمل الأسواق المالية والنظام المالي الرأسمالي، وتنبأ فيه بحدوث أزمات حادة، وشبه البورصات وما يتم فيها بـ "كازينوهات للمراهقين والمقامرين".

المهم في هذا المقال القيم أن الرجل قدم مجموعة من الإصلاحات، كلها تتفق مع ما جاء به الإسلام، ولهذا فقد استضافه المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي بجدة ليلقى محاضرة ضمنها هذه الآراء وقام المعهد بترجمة ونشر المحاضرة تحت سلسلة محاضرات العلماء البارزين عام ١٩٩٣م.

أيضا هناك مقال لـ "رولاند لاكسين (Roland Laskine)، رئيس تحرير صحيفة "لوجورنال دي فايننيس" Le Journal des fienance ٢٥ / ٩ / ٢٠٠٨م، جاء عنوان المقال: "هل حان الوقت لاعتماد مبادئ الشريعة الإسلامية في وول ستريت" يقول فيه: "إذا كان قادتنا حقًا يسعون إلى الحد من المضاربة المالية التي تسببت في الأزمة فلا شيء أكثر بساطة من تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية.

أيضا هناك "بوفيس فينست (Beaufils Vincent) رئيس تحرير مجلة تشالنجر (Challenger) كبرى الصحف الاقتصادية في أوروبا، حيث كتب مقالا افتتاحيًا للجريدة في سبتمبر ٢٠٠٨م على ما أذكر، بعنوان: "البابا أو القرآن" ومما جاء فيه: "أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة إلى قراءة القرآن لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا؛ لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من أحكام وتعاليم وطبقوها، ما حل بنا ما حل من كوارث وأزمات، وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المزري؛ لأن النقود لا تلد نقودًا".

وغير تلك الشهادات التي انطلقت من هناك وتثبت أن المجال بالفعل أصبح مفتوحا وبشدة أمام البديل الإسلامي ليتبوأ مكانه الصحيح في قيادة الاقتصاد العالمي، وهذا من إعجاز الإسلام وكتابه المحكم؛ حيث يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣).

• أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة السودان.
• أستاذ زائر في الجامعات الأوروبية.
• كاتب إقتصادي معروف.

أزمة الائتمان العالمية
في ضوء الشريعة الإسلامية

د. شاكر حمد - جامعة عمان - الاردن

الأزمة.. في عقارات أمريكا

تحمل الأخبار الاقتصادية والسياسية في هذه الأيام كل يوم مزيدا من صور الانهيار والسقوط لرموز الاقتصاد الرأسمالي من بنوك وبورصات وشركات تأمين، وغيرها من المؤسسات العملاقة التي كانت تمثل إلى وقت قريب أهم عوامل النجاح والتميز للنظام الاقتصادي الرأسمالي؛ حيث كانت مصدر مباهاة وفخر وإعجاب بقوة رأسمالها وعظم أرباحها، وكثيرا ما قدمها النظام الرأسمالي على أنها الأنموذج الذي يجب أن يحتذى للمؤسسات المالية في جميع دول العالم باختلاف انتماءاته وأيديولوجياته، وامتلكت هذه المؤسسات آلة إعلامية وفكرية ضخمة مكنت لها في قلوب ونفوس كثير من أصحاب الفكر والقرار في شتى البلدان مما جعلها مقصدا لكل طالب ربح، وساع لتحقيق الأمن وتقليل المخاطر.

ولا أدعي أن هذه الأزمة ستكون القاصمة لهذا النظام والتي تؤذن بانهياره كما انهار النظام الشيوعي؛ لأن حبال الكثيرين لا تزال ممتدة إليه تنتشله من السقوط الذي هوى إليه، كما أن هناك من لبى بسرعة فائقة دعوات ساسة هذا النظام لتقديم يد العون والإحسان إليهم، لكن الذي يجب ألا يغفل هو أن هذا النظام يملك في داخله عوامل فنائه، فإذا كان النظام الشيوعي قد سقط لمصادمته الفطرة السوية في منع التملك فضلا عن تقنينه للظلم الذي تمثل في تأميم الممتلكات، ومصادرة الأموال، وقمع الحريات الفردية، وغير ذلك من المظالم الكثيرة التي تولى كبرها هذا النظام فإن النظام الرأسمالي يملك الكثير من عوامل الفناء والسقوط؛ فنظام لا يقوم إلا على سلب ثروات الشعوب وخيراتها بتأجيج الفتن، وإشعال الحروب، فضلا عن تفشي الربا، والقمار، والاحتكار، والغش، والتدليس، وأكل أموال الناس بالباطل لا يمكن إلا أن يلقى مصيره صنوه.

حقيقة الأزمة وأسباب السقوط

بدأت الأزمة مع انتعاش سوق العقار في أمريكا في الفترة من ٢٠٠١ - ٢٠٠٥م وقدمت البنوك الأمريكية التي تعج بأموال الأمريكيين وغير الأمريكيين قروضا للمواطنين لشراء منازل بزيادة ربوية تتضاعف مع طول المدة مع غض الطرف عن الضمانات التي يقدمها المقترض أو الحد الائتماني المسموح به للفرد، ونشطت شركات العقار في تسويق المنازل لمحدودي الدخل مما نتج عنه ارتفاع أسعار العقار، ولم تكن البنوك وشركات العقار بأذكى من محدودي الدخل الذين استغلوا فرصة ارتفاع أسعار عقاراتهم بأكثر من قيمة شرائهم لها؛ ليحصلوا من البنوك على قروض ربوية كبيرة بضمان منازلهم التي لم يسدد ثمنها والتي ارتفع سعرها بشكل مبالغ فيه نتيجة للمضاربات، وقدمت المنازل رهنا لتلك القروض.

توقف محدودو الدخل عن الدفع بعد أن أرهقتهم الأقساط والزيادات الربوية مما اضطر البنوك والشركات لبيع المنازل محل النزاع

وسعد مجلس الاحتياطي الفيدرالي بهذه الطفرة؛ حيث وجد في الرهون العقارية محركا رئيسا للاقتصاد الأمريكي نظرا لأنه كان يتم إعادة تمويل المقترض كلما ارتفعت قيمة عقاره مما شجع الشعب الأمريكي على استمرار الإنفاق الاستهلاكي وبالتالي استمرار النمو في الاقتصاد الأمريكي، إلا أن ما لم ينتبه إليه الكثير هو أن هذه الطفرة لم تكن نتاج اقتصاد حقيقي، بل هي قائمة على سلسلة من الديون المتضخمة التي لم يكن لها أي ناتج في الاقتصاد الفعلي حيث كانت عبارة عن أوراق من السندات والمشتقات والخيارات يتم تبادلها والمضاربة عليها في البورصات؛ ولذلك عندما عجز المقترضون عن السداد واستشعرت البنوك وشركات العقار الأزمة قامت ببيع ديون المواطنين على شكل سندات لمستثمرين عالميين بضمان المنازل، كما حولت الرهون العقارية إلى أوراق مالية (سندات) فيما يعرف بعملية التوريق وتم بيعها، وبتفاقم المشكلة لجأ الكثير من المستثمرين إلى شركات التأمين التي وجدت في الأزمة فرصة للربح حيث يمكنها تملك المنازل فيما لو امتنع محدودو الدخل عن السداد، وبدأت شركات التأمين تأخذ أقساط التأمين على السندات من المستثمرين العالميين، وقد صاحب ذلك عملية خداع كبيرة لهؤلاء المستثمرين وأُخفي عنهم حقيقة موقف هذه السندات.

توقف محدودو الدخل عن الدفع بعد أن أرهقتهم الأقساط والزيادات الربوية مما اضطر البنوك والشركات لبيع المنازل محل النزاع، والتي رفض أهلها الخروج منها؛ مما أدى إلى هبوط أسعار العقارات فما عادت تغطي لا البنوك ولا شركات العقار ولا شركات التأمين، وعندما طالب المستثمرون الدوليون بحقوقهم لدى شركات التأمين لم يكن لديها ما يغطي تلك المطالبات ومن ثم أعلنت إفلاسها وتبعها الكثير من البنوك والمؤسسات المالية، فمن تأميم لشركتي الرهن العقاري "فاني ماي، وفريدي ماك" إلى إفلاس مصرف "ليمان براذرز"، والذي سجل بإفلاسه أكبر عملية إفلاس في التاريخ الأمريكي، إلى سيطرة الحكومة الأمريكية على ٨٠٪ من شركة التأمين "إيه آي جي" مقابل قرض بقيمة ٨٥ مليار دولار لدعم سيولة الشركة، وبعدها انهار بنك الإقراض العقاري "واشنطن ميوتشوال" الذي تم بيعه إلى بنك "جي بي مورغان" بعد أن سيطرت عليه المؤسسة الاتحادية للتأمين على الودائع وهي مؤسسة حكومية تقدم خدمة التأمين على ودائع عملاء البنوك والمؤسسات المالية في الولايات المتحدة الأمريكية (١)، ولم تقف تداعيات الأزمة عند حدود أمريكا بل تخطت المحيط لتصيب بلهبها معظم دول العالم المرتبط باقتصاد أمريكا.

بالنظر في هذا الجانب الوصفي للأزمة يظهر لنا جملة من الأمور نعتبرها من خلال الضوابط الشرعية أسبابا للأزمة، ولا يعني ذلك قصر الأزمة على هذه الأسباب:

أولا: تفشي الربا:

أطلق دهاقنة النظام الرأسمالي مقولة سارت بها الركبان أنه "لا اقتصاد بلا بنوك، ولا بنوك بلا فوائد" وتلقف هذه المقولة المتأثرون بالفكر الرأسمالي والمخدوعون به فروجوا لها، وجادلوا من أجل صحتها وجدواها، وألصقوا التهم بمن عارضها مرة بالسذاجة الفكرية، وأخرى بالظلامية والرجعية، وثالثة بالشيوعية، ورابعة بالإرهاب.

إن المتأمل في هذه الأزمة يجد أن بدايتها هي الحث والتشجيع على الاقتراض بالربا وإثقال كاهل الناس بالقروض الربوية سواء لتأمين احتياجات أساسية كالمنازل ونحوها، أو لغيرها من الكماليات والترفيهيات، بل كانت سعادة مجلس الاحتياطي الفيدرالي وبيوت المال والسماسرة والمقترضين غامرة بهذه التسهيلات الربوية؛ حيث وجدوا فيها محركا للاقتصاد ومن ثم استمرار النمو، لكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن وعجز المدينون عن السداد ومن ثم إشهار الإفلاس.

إن الإسلام إذ يحرم الربا ويجرمه ويعده من السبع الموبقات -أي المهلكات- فإنه لا يمكن تصور الهلاك والدمار والخراب كجزاء أخروي فقط إنما هو جزاء وعقوبة دنيوية، وإن الحرب التي يشنها الله ورسوله على الاقتصاديات الربوية هي حرب شاملة لا تقف عند حدود البنوك والبورصات بل هي أعم من ذلك، وها هو العالم يشهد آثار هذه الحرب ويعانيها، لكن هل هناك من له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد؟!

لقد كذبت هذه الأزمة تلك النصيحة الاقتصادية التي كثيرا ما تتكرر على ألسنة الاقتصاديين وهي أن الاستثمار العقاري، والاستثمار في السندات الربوية هما آمن الحقول الاستثمارية من حيث حجم المخاطر والعائد، وهي نصيحة يمكن أن تكون صادقة لو خلت هذه الاستثمارات من آفة الربا والمقامرات.

إن بعضا من عقلاء مفكري الغرب أدركوا أخيرا هذه الحقيقة من زاوية اقتصادية بحتة مجردة عن الجانب العقدي والإيماني، ومن ذلك ما ذكرته الباحثة الإيطالية "لووريتا نابليوني" في كتاب صدر لها مؤخرا "أن المصارف الإسلامية يمكن أن تصبح البديل المناسب للبنوك الغربية، فمع انهيار البورصات في هذه الأيام وأزمة القروض في الولايات المتحدة فإن النظام المصرفي التقليدي بدأ يظهر تصدعا ويحتاج إلى حلول جذرية عميقة" وقريب من ذلك ما أعلنه الاقتصادي الفرنسي الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد "موريس إلي" فيما يتعلق بمعالجة أزمة المديونية والبطالة أن الخروج من

الأزمة وإعادة التوازن له شرطان هما: تعديل الفائدة إلى حدود الصفر، ومراجعة معدل الضريبة لما يقارب ٢٪.(٢) وهو ما يعني منع الربا، وتطبيق أحكام الزكاة.

إننا إذ نسجل هذه الشهادات لا نعني حاجة الشريعة إلى شهادة كفاءة أو صلاحية من مفكري الغرب ورجالاته، لكننا نقدمها لبني جلدتنا الذين لا يزالون يعتبرون النظام المصرفي الربوي هو الأمثل بل والأقرب إلى روح الإسلام ومقاصده كما يزعمون.

ثانيا: المضاربات الوهمية والصفقات الصورية:

يقوم الاقتصاد الرأسمالي على ما يسمى بـ «المضاربة» ولا علاقة لها بـ «المضاربة الشرعية» المعروفة في الفقه الإسلامي، إنما يقصد بها: خلق تعامل نشط على سهم أو سند، دون أن يكون

هناك تبادل فعلي حقيقي للسلع أو المنافع مصحوبا بالكذب والخداع وصورية العقود والتآمر ونحو ذلك مما هو من مساوئ التعامل في السوق الرأسمالية.(٣)

لم تقف تداعيات الأزمة عند حدود أمريكا بل تخطت المحيط لتصيب بلهبها معظم دول العالم المرتبطة باقتصاد أمريكا

وتعد هذه المضاربات من أخطر آفات اقتصاد السوق، وقد كانت ولا تزال سببا في الكثير من الكوارث والأزمات، حتى وصفها رئيس فرنسا السابق شيراك بأنها "وباء الإيدز في الاقتصاد العالمي"، ولخطورتها أيضا أصدرت السيدة هيلجا تسيب لاروش رئيسة معهد شيللر العالمي بيانا بعد كارثة تسونامي بعنوان: "ما هو أجدى من المساعدات.. نظام اقتصادي عالمي عادل جديد"، وجاء في هذا البيان عدة توصيات، منها: "أن المضاربات في المشتقات المالية والعملات التي وصلت مؤخرا وفق آخر إحصائية لبنك التسوية العالمي إلى ٢٠٠٠ تريليون دولار يجب مسحها كليا وجعلها غير قانونية، وعن طريق اتفاقيات بين الحكومات"(٤).

ومع هذه التحذيرات للأسف لم تجرم ولم تمنع، بل تفنن مقامرو السوق وصانعوه في ابتكار المزيد من صورها، وللأسف أيضا وجد من يدفع مؤسساتنا المالية لأن تحذو حذو أختها في العالم الغربي، بل قننت

كثيرا من صور المضاربة وأصبحت تشريعا ساري المفعول في كثير من دول العالم الإسلامي.

إن هذه الأزمة الأخيرة أثبتت أن ما قدمته الشريعة الإسلامية من مبادئ اقتصادية (متمثلة في تحريم النجش، وبيع الإنسان ما ليس عنده، والميسر، وبيع الغرر والذي يندرج تحته صور كثيرة حيث يصدق على بيع المجهول، وبيع ما لا يملك، وبيع ما لا يقدر على تسليمه وغيره) لهو الضمان الحقيقي من حدوث مثل هذه الكوارث والأزمات، وهو ما فطنت له الهيئة الفرنسية العليا للرقابة المالية -وهي أعلى هيئة

رسمية تعنى بمراقبة نشاطات البنوك- فأصدرت قرارا يقضي بمنع تداول الصفقات الوهمية والبيوع الرمزية، واشتراط التقابض في أجل محدد بثلاثة أيام لا أكثر من إبرام العقد (٥).

ثالثا: بيع الديون

من أهم فصول الأزمة الراهنة قيام البنوك بتوريق الرهون العقارية وكذا القروض المتعثرة وبيعها في صورة سندات؛ حيث قامت البنوك بعرض بيع خداعي لهذه الرهون العقارية شبه الممتازة على مؤسستي "فريدي ماك" و"فاني ماي" حيث قامتا بوضعها في مجمعات من الرهون العقارية وبيعها إلى صناديق استثمارية وإلى عامة الجمهور على كونها استثمارات رفيعة الدرجة تتميز بحد أدنى من المخاطر.(٦).

وهو نشاط يعرف في الفقه الإسلامي ببيع الديون وهو ممنوع شرعا إلا بضوابط تمنع الزيادة الربوية والعمليات الصورية (٧)، ويعرف اقتصاديا بالتوريق، والمقصود به: "تحويل القروض وأدوات الديون غير السائلة إلى أوراق مالية قابلة

للتداول في أسواق المال، وهي أوراق تستند إلى ضمانات عينية أو مالية ذات تدفقات نقدية متوقعة، ولا تستند إلى مجرد القدرة المتوقعة للمدين على السداد من خلال التزامه العام بالوفاء بالدين"(٨).

وعرفته وزارة الاستثمار المصرية بأنه "قيام مؤسسة مالية مصرفية أو غير مصرفية بتحويل الحقوق المالية غير القابلة للتداول والمضمونة بأصول إلى منشأة متخصصة ذات غرض خاص تسمى في هذه الحالة «شركة التوريق» بهدف إصدار أوراق مالية جديدة في مقابل أن تكون هذه الحقوق المالية قابلة للتداول في سوق الأوراق المالية"(٩).

وقد قنن نشاط التوريق في كثير من الدول العربية والإسلامية وقدم على أنه من أدوات تنشيط حركة أسواق المال بشقيه الأولي والثانوي، وغاب عن الكثيرين ما يحمله هذا النشاط من آفات مهلكة؛ إذ هو عبارة عن بيع دين بدين، وهي الآفة التي كانت سببا في تفاقم الأزمة الأخيرة إذ لم تكن الحركة النشطة للاقتصاد الأمريكي في الفترة الأخيرة إلا سلسلة من الديون المتضخمة التي لم يكن لها أي ناتج في الاقتصاد الفعلي؛ حيث كانت عبارة عن أوراق من السندات والمشتقات والخيارات يتم تبادلها والمضاربة عليها في السوق الثانوية وجميع هذه الأنشطة المتقدمة ممنوعة شرعا.(١٠).

رابعا: عمليات الخداع والتضليل

أعادت هذه الأزمة إلى الأذهان ما حدث في أزمة لحقت بالاقتصاد الأمريكي وكانت في الأساس أزمة أخلاقية؛ إذ تعرى النظام الرأسمالي وقتها مما يستر به نفسه من دعاوى الصدق والأمانة والجودة والإتقان، وظهر بمظهره الحقيقي من الجشع والغرور والكذب والاحتيالات وهي الأزمة التي عصفت بكبرى شركات الطاقة آنئذ وهي شركة "إنرون"(١١).
ويعيد التاريخ نفسه لنجد صورا من الخداع والتضليل صاحب تلك الأزمة من الاحتيال على المستثمرين العالميين، وحجب الحقيقة عنهم مما حدا بمكتب التحقيقات الفيدرالي أن يفتح تحقيقا مع أكثر من عشرين مؤسسة مالية للتحقيق في دعاوى الخداع والتضليل.

إننا إذ نقدم هذه الصورة للأزمة فما هو إلا تأكيد على جملة أمور:

١. الشريعة الإسلامية هي النظام الأمثل للبشرية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا؛ وذلك لأنها كما قال ابن القيم رحمه الله: "إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها"(١٢) وأن المستقبل لهذا الدين، والله متم نوره.

• جامعة عمان - الأردن
• أستاذ الفقه المقارن المشارك بجامعتي الأزهر والملك خالد

٢. إن واجب الوقت يحتم على علماء الاقتصاد الإسلامي والشريعة الإسلامية إظهار سوءات النظم الوضعية في مجالاتها المختلفة، وفضحها، وحسن تقديم البديل الشرعي، والدعاية له، وعدم انتظار كارثة لإظهار ما لدينا نحن المسلمين من حلول شرعية.

٣. متى يكف المخدوعون بالنظام الرأسمالي ومؤسساته من مفكرين وساسة ورجالات قانون وشريعة في بلادنا عن التماس الأعذار لتلك النظم، وطمسهم معالم شريعتنا الغراء، والتحايل على أحكامها، والسخرية من مبادئها؟! أما لهم فيما أحدثه النظام الرأسمالي من خراب عالمي عبرة وعظة؟! أما لهم أن يعودوا إلى شريعة الهدى والرحمة؟.. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها

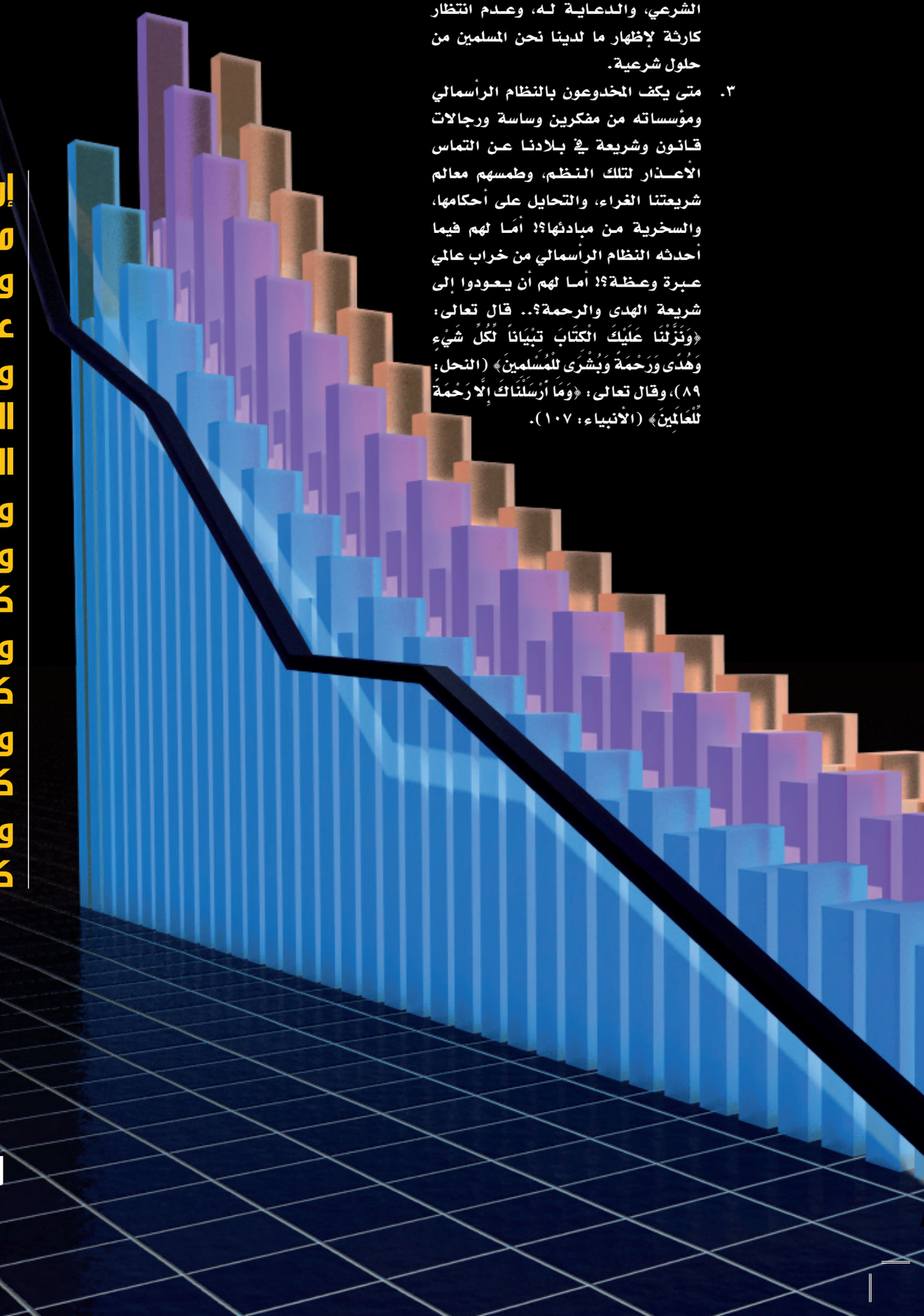

خبراء اقتصاديون:

الرأسمالية تنهار
النظام الإسلامي يزدهر

محمد رشيد - دبي

تنظر جهات مالية غربية عديدة (بجدية) إلى أبرز ملامح أعمال الصيرفة الإسلامية، في خطوة يرجى من ورائها معرفة المدى الشرعي الاقتصادي الذي يمكن الاستفادة منه في التصدي للأزمة المالية التي ضربت شرايين الاقتصاد العالمي. وكشفت مصادر موثوقة أن وزارة الخزانة الأمريكية تنظر لمثل هذا الإجراء كتحول جوهري في النظرة تجاه الصيرفة الإسلامية بعد أن أصبحت قادرة على تثبيت جذورها في وجه الجيشان المالي العالمي. وهو الأمر الذي أجبر المسؤولين الأمريكيين على النظر بعمق نحو المبادئ التي ترتكز عليها الصيرفة الإسلامية.

وفي خطوة تبرهن مدى جدية خبراء وزارة الخزانة في (تعلم) ملامح الصيرفة الإسلامية من منابعها الأصلية، عقدت الوزارة، التي ظهرت إلى الوجود قبل قرنين على يد الرئيس الأمريكي جورج واشنطن، مؤتمرا مصغرا دُعي إلى حضوره جميع مسؤولي البنوك الأمريكية وبعض أعضاء الكونجرس من أجل تفنيد الشائعات التي تلاحق الصيرفة الإسلامية.

وبنظرة تاريخية إذا سألت عن التمويل الإسلامي في الولايات المتحدة، فإن الإجابة تأتيك حتى من قبل المشرع الحكومي، في صورة سؤال آخر (هل تعني تمويل الإرهاب؟) إلا أن الصورة في طريقها للتغير بفضل الذراع اليمنى لوزير الخزانة الأمريكي هنري بولسون.

إلا أن اللافت للنظر، بحسب الوثيقة الخاصة ببرنامج المؤتمر و التي تم توزيعها على عدد محدود من صانعي القرار الاقتصادي الأمريكي، أنه تم تكليف نيل كاشكاري، مصري سابق من أصل هندي لإدارتها. ويعتبر كاشكاري الذراع اليمنى التي يثق بها وزير الخزانة الأمريكي هنري بولسون و التي على إثرها منحه إحدى أصعب المهام في تاريخ وزارة الخزانة وهي رئاسة برنامج الحكومة لإنقاذ المؤسسات المالية الذي أقره الكونجرس وقيمته ٧٠٠ مليار دولار.

وتزامنت تلك التطورات مع التصريحات الصحفية عن الصيرفة الإسلامية و التي ذكرها نائب وزير الخزانة الأمريكي روبرت كيميت خلال زيارته للامارات مؤخراً. يعلق أحد المراقبين الغربيين على ذلك (إنني مندهش من اعتراف وتقدير كيميت للصيرفة الإسلامية).

وتبين الوثيقة الخاصة بأجندة هذا المؤتمر والذي تم تنظيمه منتصف نوفمبر الماضي بمشاركة جامعة هارفارد الشهيرة مع قصر أعداد الحضور إلى ١٠٠ شخص . كما تفيد الوثيقة أن قائمة الحضور ستقتصر على الأعضاء العاملين في الأجهزة الحكومية الأمريكية المختصة بالرقابة على البنوك، و بعض الممثلين من الكونجرس، وزارة الخزانة، البنك الفدرالي وأقسام أخرى من السلطة التنفيذية.

وتقول الوثيقة (هذا المؤتمر مصمم لإطلاع صانعي السياسات الاقتصادية على الخدمات التي تقدمها المالية الإسلامية، التي تشكل بصورة متزايدة جزءاً) مهماً (من الصناعة المالية العالمية).

وبدا من الواضح أن هناك توجهاً من المسؤلين الأمريكان إلى أن لا يثير هذا المؤتمر أي زوبعة إعلامية و لاسيما أن هذا المؤتمر الرفيع المستوى قد يحرك المخاوف الراكدة تجاه ما يعرف بـ (فوبيا الصيرفة الإسلامية)، فقد لا تلقي فكرة توجه و زارة الخزانة الأمريكية نحو تعلم مبادئ الصيرفة الإسلامية ترحيبا حارا من بعض الإعلاميين الذين يشعرون بـ (التهديد) الذي سيجلبه معه التمويل الإسلامي.

أمام ذلك دعا البروفيسور محمد معصوم بالله، محاضر التمويل الإسلامي في جامعة كامدين الأمريكية، إلى استغلال قمة مجموعة (G-٢٠)، التي عقدت في واشنطن بعد المؤتمر بايام قلائل من خلال اتخاذها كمنصة لمخاطبة السمات الفعلية للمالية الإسلامية و بحث مسألة دمجها في خطة إنقاذ الاقتصاد العالمي.

الاختلافات مع الشريعة

بينما يمكن أن ترحب الولايات المتحدة بالتمويل الإسلامي، إلا أن اقتصادها مازال يقوم على مفهوم المالية التقليدية، حيث أصبحت الفائدة (كلية الوجود) في كل مكان و زمان. ويشكل ذلك معضلة لعدد

وزارة الخزانة الأمريكية تنظر بجدية إلى الاستفادة من المصرفية الإسلامية

الأزمة العالمية توضح أن الاسلام هو (الطريق الثالث) بعد فشل الايديولوجيات الكبرى

قليل من مديري الصناديق المحليين الذين يتطلعون إلى الاستثمار بما يتوافق مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

ويؤدي عدم وجود صيغة موحدة عالمية للخطوط الإرشادية الخاصة بأدوات الاستثمار الإسلامي، في بعض الأحيان، إلى اختلافات في الرأي بين العلماء الذين يفتون حول مدى التوافق مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية. وقال نك كايزر، رئيس شركة Saturn Capital، ومدير محفظة صناديق أمانة في بيلنغام في واشنطن (هذا ما دعانا إلى التوجه إلى المجلس الفقهي لأمريكا الشمالية، حيث يحاول تفسير الإسلام للأمريكيين الشماليين، الأمر الذي يمكن أن يكون مختلفاً عن الأسلوب الذي يستثمر به السعوديون. وهذا أمر مسموح به). وأضاف (إذا كنت متشدداً للغاية في هذا الأمر، فإنك لن تجد شيئاً تشتريه، حيث إن كل الشركات الأمريكية تتعامل بالفائدة. ومع هذا فهناك بعض المؤسسات التي تتعامل بصورة جزئية مع الفائدة ولكن هل تعد تلك الجزئية الربوية في التعامل مصدر عملها الأساسي؟).

وقال نافيد صدّقي، الرئيس التنفيذي لشركة Zayan Finance في نيويورك (يعد الالتزام بتعاليم الشريعة بمثابة المعيار الخاص لدينا للقيام بتعاملاتنا اليومية، ولكننا لا نعمل في مجال بيع العقيدة).

قوة أنشطة التمويل

وقال مصرفيون خلال منتدى عقد في السعودية مؤخرا ان الأزمة المالية العالمية تقدم فرصة للأنشطة المصرفية الإسلامية لكي تعزز موقعها عالميا. ولم تنل أزمة الائتمان العالمية حتى الان من البنوك الإسلامية وان كان تأثير تراجع أسعار العقارات والسلع الاولية وتباطوء الاقتصادات قد بدأ يظهر في القطاع. لكن المصرفيين في المنتدى الذي يتناول تأثير الأزمة المالية العالمية على العمل المصرفي الاسلامي توقعوا مزيدا من القوة للقطاع.

وقال أحمد علي رئيس البنك الاسلامي للتنمية الذي يتخذ من جدة مقرا خلال المناقشات التي نظمها البنك لا بد للتمويل الإسلامي أن يغتنم الفرصة التي جاءت مع الازمة المالية العالمية.

وهناك أكثر من ٣٠٠ مؤسسة مالية اسلامية في أنحاء العالم وتقدر قيمة القطاع بنحو تريليون دولار وهو مبلغ ضئيل جدا قياسا الى حجم الانشطة المصرفية التقليدية في العالم.

ويستفيد نمو العمل المصرفي الاسلامي من تزايد الاهتمام بالقيم الاسلامية والسيولة القادمة من مصدري النفط في الشرق الاوسط المتعطشين لاستثمارات تتوافق مع الشريعة، ومن شأن تراجع سعر النفط أن يؤثر على ذلك.

لكن المسلمين يشكلون نحو خمس سكان العالم مما يمنح القطاع مجالا واسعا للنمو طويل الأجل استشاري مصرفي سعودي الرقابة التنظيمية ليست حلا في حد ذاتها.

وقال رجل الأعمال السعودي صالح كامل الذي يرأس المجلس العام للبنوك والمؤسسات الاسلامية ان الأزمة العالمية توضح أن الاسلام هو (الطريق الثالث) بعد فشل الايديولوجيات الكبرى.

وقال: (الشيوعية أخفقت والرأسمالية أخفقت والآن فقط بدأوا يقرون بفشلهم).

البديل في الاقتصاد الإسلامي

وفي رأي د. ظافر مقدادي المحلل الاقتصادي الاسلامي بالولايات المتحدة الأميركية أنه في ظل الازمة المالية العالمية ازداد الحديث والتنظير لما يُسمّى بالنظام الاقتصادي الإسلامي ومدى تأهّله ليكون بديلاً عن نظام الاقتصاد الرأسمالي. فما هو النظام الاقتصادي الإسلامي؟

وقال مقدادي أولاً، وبعد فحص المفاهيم، لا يمكننا الحديث عن نظام اقتصادي إسلامي، لأن الاقتصاد لا يحدده دينٌ معين، وإنما هو نشاط اجتماعي تاريخي يأخذ شكل نمط من أنماط الانتاج التي يفرزها التطور الاجتماعي في مكان ما في زمان ما. فالبشرية خبرت عبر التاريخ أنماط انتاج مختلفة بدأت

نظرة تاريخية

وألمح أحد المقربين إلى إن محاولة وزارة الخزانة قد تهدف من ورائها إلى إعادة تدوير أموال البترودولار الإسلامية بعد أن هجرتها. يقول دانيال بيسز المحلل الاقتصادي لدى وكالة رويترز، أصبح عدد كبير من المستثمرين الشرق أوسطيين مترددين في الاستثمار في الأسواق المالية الأمريكية بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، حيث يخشون أن يتم ربط أموالهم العربية بنشاطات الجماعات الإسلامية الراديكالية.

أمام ذلك أكد جرانت سميث المدير العام والمشرف على بحوث معهد IRMEP الأمريكي الذي تتركز بحوثه السياسية والاقتصادية تجاه منطقة الشرق الأوسط، أهمية الحصول على مبدأ التعامل بالمثل بين المستثمرين الخليجيين و الأمريكان. حيث يقول (لم ينس الخليجيون بعد ردة الفعل الأمريكية على صفقة موانئ دبي العالمية، التي كانت تتعلق بإدارة البنية التحتية للمباني ومرافق الموانئ، حيث أُبطلت الصفقة استناداً إلى تهم زائفة لا تقوم على أساس من الصحة).

وفي تعليقه على النظرة الأمريكية للتمويل الإسلامي قبل اندلاع أزمة المال الحالية، قال عصام صلاح، رئيس الممارسات المالية الإسلامية في شركة King and Spalding القانونية في نيويورك (إن المفهوم السائد هو أن الولايات المتحدة معادية للتمويل الإسلامي، وللمسلمين، والعرب).

و يتابع سميث (إذا كان المسؤولون الحكوميون الأمريكيون يتوقعون الاستفادة من إمكانيات صناديق الثروات السيادية في سوق صناديق الأسهم الاستثمارية الإسلامية، وهي من أسرع القطاعات نمواً في النظام المالي الإسلامي، فإنهم في البداية بحاجة إلى ممارسة المبادئ الأساسية في المصرفية الإسلامية، وهي المبادئ الأخلاقية الرفيعة. و في الوقت الحاضر فإن إعادة بناء الثقة والعودة إلى علاقات تقوم على المبادئ الأخلاقية الرفيعة هي أمور يجب توافرها أولاً حتى تتحسن حركة رأس المال المتنقل).

وسبق لمكتب (مراقبة حسابات العملة)، وهو إحدى الجهات التشريعية للبنوك الأمريكية، أن أصدر عام ١٩٩٧، وعام ١٩٩٩م، قرارات تسمح للمؤسسات المالية ببيع بعض المنتجات المالية الإسلامية.

وكانت ثاني أكبر جهة أمريكية مزودة لتمويل شراء المنازل، وهي Freddie Mac، قبل عدة سنوات أن اشترت منتجات مالية إسلامية لتمويل شراء المنازل لمساعدة المقترضين الذين لا يريدون دفع الفوائد المصرفية.

ويستعيضون عن ذلك بدفع رسوم للجهة المقرضة مقابل تقاسم المخاطر. معلوم أن الحكومة الأمريكية قد استحوذت أخيراً على فريدي ماك بعد الخسائر التي سجلتها من جراء أزمة الرهونات العقارية.

بالمشاعية البدائية، التي تطورت الى العبودية، والتي بدورها تطورت الى عبودية الأرض والزراعة (أي الاقطاعية)، والتي أفضت الى الرأسمالية. فالاقتصاد إما أن يكون رأسمالياً او اقطاعياً او اشتراكياً.. وهكذا، ولا يمكن أن يكون مسيحياً او بوذياً او اسلامياً. أما إن أراد أصحاب التنظير الاسلاموي اشتقاق مصطلح لاستخدامه في دعايتهم الايدولوجية فإن الأصح استعمال مصطلح مثل اقتصاد المسلمين أو اقتصاد المجتمعات الاسلامية، ومع ذلك لا يمكن أن يكون نظاماً، بل هو مجموعة من المعاملات الفقهية الموجودة أصلاً في مراجع السلف في أبواب المعاملات، وخاصة كتاب المغني لابن قدامة.

وثانياً، يمكننا تصنيف ما يسمى بالنظام الاقتصادي الاسلامي على أنه نظام اقتصادي رأسمالي، فهو قائم على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وعلى الربح وعلى التجارة، وهو لا يختلف عن النظام الرأسمالي في شيء سوى أنه يُضفي نكهة اسلامية على النظام الرأسمالي. هذه النكهة تأتي من محاولات تطبيق بعض الأخلاقيات الاسلامية في النشاط الاقتصادي الرأسمالي، وأهمها تحريم الربا عملاً بالآية الكريمة (وأحلّ الله البيع وحرّم الربا)، بالاضافة الى الأمانة والصدق والنزاهة وعدم الغش. وهي مقولات نظرية قلّما تجد لها تطبيقاً عملياً في واقع النشاط الاقتصادي بما فيها الاسلامي.

يجب إقامة بنوك استثمار اسلامية تجسد الاقتصاد الاسلامي وتقدم للعالم رؤية جديدة وطريقة مختلفة لادارة الاصول واستثمار الثروات وصناعة المنتجات

ثالثاً: ما الذي يميز ما يسمى بالنظام المصرفي الاسلامي عن النظام المصرفي الرأسمالي؟! في الجوهر لا شيء. فكلاهما قائم على نفس المبادئ في الانتاج والتجارة والربح والفائدة، ولكن يوجد اختلاف في كيفية تحقيق هذه الفائدة. ففي النظام الرأسمالي الربوي يحقق المصرف الفائدة نتيجة بيع الأموال السائلة (النقود) للعميل مقابل فائدة، وتُسمى هذه العملية بـ(الائتمان بفائدة)، وهذا هو الربا عينه. وفي المصارف الاسلامية تتحقق الفائدة نتيجة بيع الأموال العَيْنية، مثل السيارة، للعميل مقابل فائدة، وتُسمّى هذه العملية بـ(المرابحة الآجلة). والفرق بينهما أن مفهوم الربا يكمن في بيع وشراء الأموال السائلة، ففي الاسلام هذا حرام، ولكن الحلال يكمن في بيع وشراء

الأموال العينية كالأراضي والسيارات والماكنات والخدمات حتى لو كان البيع آجلاً (أي بالتقسيط) وبفائدة.

ومن هنا استطاعت المصارف الاسلامية التلاعب بشكل إجراءات وتوقيت عمليات البيع والشراء للإلتفاف على الربا. ولنأخذ المثال التالي للمقارنة بين المصرف الربوي والمصرف الإسلامي. في التعامل الربوي يشتري العميل من المصرف ثمن السيارة المعروضة للبيع في معرض السيارات، حيث أن السيارة ليست ملكاً للمصرف وقت الشراء، ويحصل العميل على السيارة من المعرض، ثم يقوم بتقسيط ثمنها للمصرف وفقاً لفائدة معينة حسب اتفاقه مع هذا المصرف. الربا في هذه العملية واضح ويتجلى في أن المصرف قد باع العميل نقوداً وليس سلعة. هذا أولاً، وثانياً يقع الحرام أيضاً في أن المصرف باع بضاعة لا يمتلكها وهذا مخالف لتعاليم الرسول الكريم (ص) حيث نهى عن بيع ما لا نملك، وثالثاً لم يقبض (او يأخذ) المصرف السيارة في حوزته قبل أن يبيعها للعميل بل بقيت في المعرض، وهذا مخالف لقول الرسول: (إذا اشتريت مبيعاً فلا تبعه حتى تقبضه). أما المصرف الاسلامي فيتبع عدة خطوات اجرائية لكي لا يقع في ظاهر النص الذي نهى عنه الرسول الكريم، فيقوم المصرف باستلام طلب من العميل يحمل عنوان (طلب التمويل بالمرابحة) يتضمن وصفاً دقيقاً للسيارة التي يرغب العميل بشرائها، ثم يقوم المصرف بدراسة هذا الطلب، فإن وافق عليه يطلب من العميل تعبئة بيان (الوعد بالشراء وسداد ضمان الجدية) وهو ما يشبه العقد مع الدفعة الأولى لكي يضمن المصرف عدم الخسارة في حال أخلّ العميل بوعده في الشراء، ثم يقوم المصرف بشراء السيارة من الوكيل او المُنتج

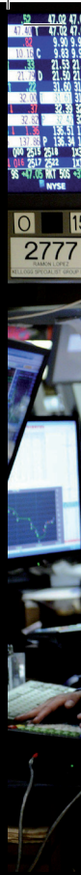

وتصبح السيارة ملكاً للمصرف ويقبضها المصرف في مكان تابع له، ثم يقوم ببيعها للعميل بعد حصوله على ضمانات، وتصبح السيارة ملكاً للعميل الذي يقوم بدوره بتقسيط ثمن السيارة مع الفوائد الى المصرف.

لكن ما الفرق؟ يجيب مقدادي جوهرياً لا شيء من منظور نمط الانتاج الاقتصادي، وكل ما في الأمر أن المصرف لعب دور معرض السيارات والمصرف التقليدي في نفس الوقت، فقام بعمليتين تجاريتين في معاملة واحدة: شراء السيارة من المُنتج (بدل أن يشتريها معرض السيارات من المُنتج) وبيعها للعميل بفائدة. والعملية كلها تهدف الى الالتفاف على مفهوم الربا كون المصرف في هذه الحالة باع سلعةً يمتلكها على أرضه ولم يبع أموالاً سائلة. وما يدعو للحيرة هنا أن فقهاء الاقتصاد الاسلامي المعاصرين وإن أخذوا من فقه المعاملات لابن قدامة فكأنهم يُهملون قوله: (وكل قرض شُرط فيه أن يزيده فهو حرام... قال ابن المنذر: أجمعوا على أن المُسلف إذا شَرط على المُستلف زيادة أو هدية، فأسلف على ذلك، إن أخذ الزيادة على ذلك ربا). أليس ثمن السيارة سلفة أسلفها المصرف للعميل بطريقة غير مباشرة؟ أليست الفائدة على السلفة زيادة وهي حرام؟! أليس هذا ربا النسيئة؟ أفيدوني إن كنتُ مخطئاً. وهل (الأعمال بالنيّات ولكل امرئ ما نوى) كما قال الرسول الكريم أم بالاجراءات؟! ونية المصرف واضحة وهي اقراض العميل مالاً بفائدة لكي يشتري السيارة، بغض النظر سواء اشتراها من المعرض أو المصرف، فالمصرف أصلاً ليس معرضاً للسيارات ولا غيرها من البضائع العينية وإنما هو مصرف.

هذا من الناحية النظرية الاجرائية، أما من الناحية العملية فإن الكثير من الأخطاء وضعف المراقبة تؤدي الى الوقوع في الحرام والربا، ففي حالات كثيرة يتسرع المصرف الاسلامي باعطاء شيك للعميل ليقوم هو باستلام السيارة من المُنتج مباشرة (وهذا ربا)، وغيرها الكثير من التجاوزات التي أوردتها الدراسات الميدانية للمصارف الاسلامية (يمكن مراجعة دراسة د. حسين شحاتة، استاذ المحاسبة بجامعة الأزهر). والجدير بالذكر أن الباحث محمد سليم قد ذكر في دراسة له نشرت في صحيفة فاينانشال تايمز البريطانية أن ما لا يتجاوز ٥٪ فقط من عمليات التمويل الاسلامي تتم وفقاً لأحكام وضوابط الشريعة الاسلامية. أما

الرقابة التنظيمية ضرورية لكن يجب استكمالها بتغيير هيكلي في النظام المالي

المراقبة على هذه المصارف فتتم عن طريق مجالس شرعية تضم مشاهير الفقهاء الذين يشهدون لهذه المصارف بأن تعاملاتها شرعية، ويتقاضى الواحد منهم على عضويته في المجلس من ٢٠ ألفاً الى ٣٠ ألفاً سنوياً، ويمكن أن يعمل في أكثر من مجلس في نفس الوقت (حسب معلومات الموقع العالمي للاقتصاد الاسلامي)!!. وقد اختلف الفقهاء المسلمون المعاصرون حول عمل هذه المصارف، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الخلاف الفقهي الذي طفا على السطح في منتدى التمويل الاسلامي في اسطنبول، خاصة بين د. محمد أيمن الجمال أستاذ التمويل الإسلامي في جامعة رايس في هيوستن ومحمد عمران عثماني أستاذ الشريعة في باكستان، وكذلك خلاف الفقهاء بعد تأكيد كل من مفتي مصر د. علي جمعة ووزير الأوقاف د. حمدي زقزوق أن التعامل مع المصارف التقليدية (غير الاسلامية) حلال.

علماء الاقتصاد الوضعي قد توقعوا انهيار النظام الاقتصادي الاشتراكي لأنه يقوم على مفاهيم ومبادئ تتعارض مع فطرة الإنسان وأحكام الشريعة

وهذا كله لا يغير من حقيقة أن النظام المصرفي الاسلامي جوهرياً ولجهة نمط الانتاج هو نظام مصرفي رأسمالي. فعن أي نظام اقتصادي اسلامي يتحدث المنظّرون؟! وكيف أصبح مؤهلاً ليحلّ محل النظام الاقتصادي الرأسمالي؟!

انهيار البورصات العالمية

ما قاله جوردن براون-رئيس الوزراء البريطاني-من انه يتعين وضع أسس وقواعد جديدة للنظام المالي فيما يتعلق بالكشف عن المعلومات والشفافية وتحسين وتوسيع نطاق الإشراف والتعاون الدولي وإنشاء نظام للإنذار المبكر لمجابهة الأزمات المستقبلية، والمستشارة الألمانية أنجيلا ميركيل التي قالت أن هناك حاجة لوضع قواعد عالمية جديدة للنظام المالي الذي يتعين على صندوق النقد الدولي أن يضطلع فيه بدور إشرافي أكبر والرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف إلى إقامة نظام اقتصادي مالي جديد أكثر عدلا يقوم على تعدد الأقطاب وسيادة القانون والأخذ بالمصالح المتبادلة معتبرا ان عهد الهيمنة الاقتصادية الأمريكية قد ولى.

ومن قبل انهارت نظريات النظام الاشتراكي في معقلها وخاصة في الاتحاد السوفيتي السابق وأقدم إضافة الى دول الكتلة الشرقية التي كانت تدور في فلكه وتؤمن بتلك النظريات التي خصخصة المشروعات العامة وبيع وحدات القطاع العام لرجال الأعمال وتطبيق قواعد النظام الاقتصادي الرأسمالي وأهمها حرية السوق وعدم تدخل الدولة انطلاقا من شعار الدولة (تحكم ولا تملك) والذي ثبت فشله هو الآخر في الأزمة المالية العالمية الراهنة حيث تدخلت الولايات المتحدة والعديد من الدول الأوروبية لإنقاذ البنوك والمؤسسات المالية من خلال ضخ سيولة في قطاعات هذه المؤسسات لمواجهة الأزمة وذلك تأميم جزئي لبعض المصارف.

من جهته يؤكد الدكتور حسين شحاتة-أستاذ الاقتصاد بجامعة الأزهر والخبير الاستشاري في المعاملات المالية والشرعية - أن علماء الاقتصاد الوضعي قد توقعوا انهيار النظام الاقتصادي

الاشتراكي لأنه يقوم على مفاهيم ومبادئ تتعارض مع فطرة الإنسان وأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية كما تنبأ العديد من رواد النظام الاقتصادي الرأسمالي بانهياره لأنه يقوم على مفاهيم ومبادئ تتعارض مع سنن الله سبحانه وتعالى ومع القيم والأخلاق.

كما انه يقوم على الاحتكار والفوائد الربوية والتي يرونها انها تقوم على عبادة المال وسيطرة أصحاب القروض على المقترضين وتسلب حرياتهم وأعمالهم وتسبب آثارا اجتماعية واقتصادية خطيرة مستشهدا برأي الخبير الاقتصادي موريس آليه والذي حصل جائزة نوبل في الاقتصاد عندما قال ان النظام الاقتصادي الرأسمالي يقوم على بعض المفاهيم والقواعد التي هى أساس تدميره اذا لم تعالج وتصوب تصويبا عاجلا فضلا عن إن عددا ليس بالقليل من رجال الاقتصاد أكدوا على ان هذه النظام يقوم على مبادئ تقود الى الإفلاس.

وأوضح الدكتور شحاتة إنهم ذكروا عددا من الأسباب ومنها الاحتكار والمعاملات الوهمية والاستغلال والتدليس وانتشار الفساد مما يؤدي إلى وقوع ظلم من أصحاب الأموال من الأغنياء والدائنين للفقراء والمساكين والمدينين وأيضا من أسباب أزمة هذا النظام هي ان المادة أصبحت هى الطغيان وسلاح الطغاة والسيطرة على السياسة فضلا عن ان هذا النظام يقوم على النظام المصرفي الربوي ونظام الفائدة أخذا وعطاء ويعمل في إطار منظومة تجارة الديون شراءً وبيعاً ووساطة وانه كلما ارتفع معدل الفائدة على الودائع كلما ارتفع معدل الفائدة على القروض والمستفيد هو البنوك والمصارف والظلم يقع على المقترضين.

مضيفا ان البعض يرى انه لا تتحقق التنمية الحقيقية إلا إذا كان سعر الفائدة صفر وهو ما قاله آدم سميث وأيضا من الأسباب أن هذا النظام يقوم على نظام المستحقات المالية والتي تعتمد اعتمادا أساسيا على معاملات وهمية ورقية شكلية تقوم على الاحتمالات ولا يترتب عليها أي مبادلات للسلع والخدمات فأساسها المقامرات والمراهنات.

النظام الاقتصادي الرأسمالي يقوم على بعض المفاهيم والقواعد التي هى أساس تدميره

وهناك سببين آخرين وهما سوء سلوكيات مؤسسات الوساطة المالية والتي تقوم على إغراء الراغبين من محتاجي القروض والتدليس عليهم وإغرائهم بالحصول على القروض من المؤسسات المالية وأيضا التوسع في تطبيق نظام بطاقات الائتمان بدون رصيد وهو ما يسمى بالسحب على المكشوف والتي تحمل صاحبها تكاليف عالية وهذه سبب ألازمة مما يتسبب لازمات مالية للأشخاص والبنوك الربوية.

وفي مقابل ذلك يرصد الخبير الاستشاري في المعاملات المالية والشرعية أوجه ملامح النظام الاقتصادي الإسلامي والذي يحقق الأمن والاستقرار وذلك بالمقارنة مع النظم الوضعية الأخرى وهى أن هذا النظام يقوم على منظومة من القيم والأخلاق كما انه يحرم المعاملات المالية التي تقوم على المقامرة والتدليس والاحتكار والاستغلال.

حرمت الشريعة الإسلامية العديد من أشكال المعاملات التي قادت إلى هذه الأزمة ومنها نظام المشتقات المالية والتي لا تسبب تنمية اقتصادية حقيقية بل تعد وسيلة خلق النقود التي تسبب التضخم وارتفاع الأسعار

مضيفا أن من أسباب نجاحه أيضا قيامه على قاعدة المشاركة في الربح والخسارة وعلى التداول الفعلي للأموال والموجودات مما يحقق التفاعل الحقيقي بين أصحاب الأموال والأعمال ويقلل من حدة الأزمة حيث لا يوجد فريق رابح دائما ولا فريق خاسر دائما بل المشاركة في الربح والخسارة لافتا إلى أن عدد من فقهاء وعلماء الاقتصاد الإسلامي قد وضعوا مجموعة من عقود الاستثمار والتمويل الإسلامي التي تقوم على ضوابط شرعية.

و من هذه العقود صيغ التمويل بالمضاربة وبالمشاركة والمرابحة وبالاستصناع وبالإجارة والمزارعة والمساقاة كما حرمت الشريعة الإسلامية العديد من أشكال المعاملات التي قادت إلى هذه الأزمة ومنها نظام المشتقات المالية والتي لا تسبب تنمية اقتصادية حقيقية بل تعد وسيلة خلق النقود التي تسبب التضخم وارتفاع الأسعار وتسبب الانهيار السريع في المؤسسات المالية كما حرمت الشريعة كافة صيغ وأشكال بيع الدين بالدين مثل خصم الأوراق التجارية وخصم الشيكات المؤجلة السداد كما حرمت نظام جدولة الديون مع رفع سعر الفائدة وهو سبب رئيسي من أسباب الأزمة الراهنة.

أما الدكتور حسن عبد الفضيل - الخبير الاقتصادي- فيقول انه يمكن القول الآن أن النظام الرأسمالي قد انهار وانتهى لان الدولة بدأت

تتدخل من خلال تأميم وضخ أموال في قطاعات البنوك والمصارف ويتحمل ذلك المواطن البسيط ودافعي الضرائب لصالح رجال أعمال ومسئولين فاسدين وهو ما يتناقض مع ابسط قواعد النظام الرأسمالي الذي يمنع الدولة من التدخل مطلقا في شون الاقتصاد مشيرا الى ان هذا التدخل جاء في النظام الاشتراكي بما يؤكد سقوط نظرية الاقتصاد الحر.

ويرى الدكتور عبد الفضيل ان أهم أسباب انهيار هذا النظام هو فوضى الإقراض ورفع سعر الفائدة على القروض وغياب دور الدولة الرقابي والتفتيشي مضيفا ان غياب الرقابة أيضا وشيوع الفساد كان سببا في سقوط النظام المالي الاشتراكي قبل ذلك.

أما الدكتور عبد الحميد الغزالي أستاذ الاقتصاد بجامعة القاهرة فيرى ان النظام المالي الرأسمالي يصحح نفسه

أمامه خيار تاريخي للاستفادة من مبادئ وقواعد النظام المالي الإسلامي من حيث تحقيق العدالة والتوسع في الإنتاج والاعتماد على الاقتصاد العيني وليس الاقتصاد الربوي القائم على المضاربات والمقامرات وأيضا تشديد الرقابة وأدوات التفتيش لان غياب هذه الرقابة من جانب الدولة وشيوع الفساد كانا من أهم الأسباب التي ادت الى نشوب الأزمة المالية الراهنة.

بينما يشدد الدكتور محمد عبدا لحليم عمر- أستاذ الاقتصاد الإسلامي - ومدير مركز صالح كامل للاقتصاد الاسلامي بجامعة الازهر ان السبب الرئيسي في انهيار هذا النظام هو انتشار المعاملات المالية التي حرمتها الشريعة الإسلامية وابرز أشكالها الربا الذي شاع واخذ صورا متعددة حتى أصبح المحرك الأساسي في هذا النظام ومن صور الربا بيع الديون لشركات التوريق ونظام بطاقات الائتمان وقانون التمويل العقاري وبذلك تشبع السوق بحركة الشراء اللامحدودة وإقراض بدون دراسات جدوى ومنها أيضا ما يسمى بالمشتقات المالية التي حرمتها الشريعة وكذلك معاملات أخرى حرمها الاسلام ومنها المضاربة في البورصة والشراء بالهامش.

ولفت الدكتور عمر الى ان النظام الرأسمالي فشل في تحقيق العدالة الاجتماعية وهو ما فشلت فيه الاشتراكية قبل ذلك وهذا ما ظهر في طلب المجتمع الاقتصادي الأمريكي للتدخل الحكومة في الاقتصاد مضيفا ان الاشتراكية لن تعود مرة أخرى ولكن الرأسمالية لن تستمر طويلا.

الاسلام لكل زمان ومكان

أكد الدكتور عبد الرحمن صالح الأطرم أمين عام الهيئة الإسلامية العالمية للاقتصاد والتمويل، أن الأزمة المالية العالمية أسهمت في إبراز النظرة الاقتصادية الإسلامية وأنها الأنسب والأفضل للإنسان في كل زمان ومكان وفيها حفظ للمال والاقتصاد، مؤكداً أن الهيئة من هذا المنطلق تسعى إلى نشر النظرة الاقتصادية الإسلامية عالمياً والتسويق لها، خاصة أن بعض الأمور التي كان لا يقبل النقاش فيها في السابق مثل آلية بيع الديون أو غيرها أصبح المجال مفتوحاً لمناقشتها ورؤية ما يمكن الاستفادة من النظرة الإسلامية الاقتصادية في تعديل ما فيه من هفوات أو أخطاء.

أهم أسباب انهيار النظام الاقتصادي الرأسمالي هو فوضى الإقراض ورفع سعر الفائدة على القروض وغياب دور الدولة الرقابي والتفتيشي

وبيّن الأطرم في لقاء نظمته الغرفة التجارية الصناعية في الرياض مؤخرا، أن الهيئة حالياً تستعد لتنظم مؤتمر دولي في البحرين ، مشيراً إلى أن الهيئة بادرت بالبحث والنظر في إمكانية المشاركة بالمؤتمرات الدولية الأخرى والمناسبات، إضافة إلى الوسائل الإعلامية لإيصال المفهوم والنظرة الإسلامية الاقتصادية.

وأوضح الأطرم أن الهيئة تعتمد في استراتيجيتها الإدارية على عدة محاور مثل المساهمة في تأصيل النظرية الاقتصادية كإصدار البحوث والدراسات النظرية وإعداد البحوث والدراسة التطبيقية، وبحث الحلول والبدائل للمشكلات الاقتصادية والتمويلية القائمة، كما أن الهيئة تسعى إلى تكوين

شراكات مع الجهات والشخصيات المعنية وتسعى نحو تبني النماذج التطبيقية للنظرية الاقتصادية والتمويلية الإسلامية مثل عقد ندوات وفعاليات مختلفة وإصدار الكتب والمطبوعات والمشاركة في الفعاليات المحلية والدولية ذات العلاقة وإعداد نماذج تطبيقية بالتعاون مع الجهات المعنية، إضافة إلى تكوين مركز معلومات وإنشاء موقع الهيئة والنشر الآلي وإنشاء مكتبة اقتصادية متخصصة.

وحول مشاريع الهيئة العلمية قال الأطرم إن الهيئة لديها عدد من المشاريع، منها مشروع دراسات الأسواق المالية وهو مشروع متكامل في إعداد الدراسات والبحوث العلمية وإقامة الندوات وحلقات النقاش والدورات التدريبية وإصدار الأدلة التعريفية والبرامج الحاسوبية المساعدة على إنجاح هذا المشروع، ويهدف إلى بحث المسائل المستجدة وتكوين قاعدة بيانات بالدراسات والبحوث ذات الصلة والإسهام في إيجاد الحلول العملية للمشكلات التي تعاني منها الأسواق المالية في الدول الإسلامية.

وأضاف الأطرم أنه من ضمن مشاريع الهيئة أيضاً مشروع دراسات الزكاة وهو مشروع متكامل في إعداد الدراسات والبحوث العلمية وإقامة الندوات وحلقات النقاش والدورات التدريبية وإصدار الأدلة التعريفية والبرامج الحاسوبية المساعدة على إنجاح هذا المشروع الذي يهدف إلى توعية الناس بإخراج الزكاة الواجبة ومساعدتهم على حسابها وكذلك مساعدة الشركات والمؤسسات وإيجاد الحلول العلمية لمشكلات الزكاة وبحث المسائل الخلافية المستجدة.

كما أن الهيئة لديها مشروع متكامل حول دراسات التأمين حيث أوضح الأطرم أن الهيئة تعمل على إعداد الدراسات والبحوث العلمية وإقامة الندوات وحلقات النقاش الخاصة بالتأمين ويهدف إلى تحديد مفهوم التأمين في الشريعة الإسلامية، وإيجاد منظومة معايير لتطوير صناعة التأمين، واقتراح صيغ تأمين ملائمة وعمليات ذات كفاءة يمكن تطبيقها في الواقع المعاصر، إضافة إلى تحفيز المبدعين لابتكار آليات وأدوات تأمين متوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية وإيجاد حلول عملية لمشكلات التأمين.

وأشار الأطرم إلى أنه لتحديد مفهوم الاستثمار والتمويل في الشريعة الإسلامية يجب إيجاد منظومة من المعايير لتطوير الاستثمار الإسلامي والتمويل الإسلامي والهيئة لديها مشروع بذلك لإيجاد حلول عملية لمشكلات التمويل والاستثمار، بالإضافة إلى إيجاد منظمة متفرعة عن الهيئة لإصدار شهادات الاعتماد للمعاملات المالية الإسلامية وتقديمها للسوق كجهة موثوقة ومحايدة.

ووفقا للأطرم، فإن لدى الهيئة مشروع لدراسة النظرية النقدية، مشيرا إلى أن هذا المشروع يهدف إلى تأصيل النظرة النقدية الإسلامية وبيان حقيقة النقد ومقاصد الشريعة من تداول النقد وإيجاد حلول عملية للمشكلات المعاصرة المتعلقة بالنقود من خلال البحوث والدراسات وحلقات النقاش والندوات والبرامج التوعوية والثقافية والتطبيقية.

• كاتب إقتصادي متخصص.
• محلل إقتصادي بالصحف المحلية والأجنبية.

الالتزام الحقيقي

د. عزة عبد العزيز

أختي الفاضلة.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إنها لنعمة عظيمة ومنة من الله كبيرة أن ينشغل الإنسان بأمر دينه، وأن يهتم لهذا الأمر، وأن يبحث دائماً عن الأفضل في علاقته بربه سبحانه وتعالى.

وإن الالتزام الحقيقي ليثير في نفس كل منا شجون و تساؤلات .. ويجعله يسأل نفسه سؤالاً مباشراً: هل أنا ملتزم؟ فما هو الالتزام؟ وما هي علاماته؟ طالعي: هل أنت ملتزم؟

إن الالتزام الحقيقي - أختي الفاضلة - ما هو إلا تحقيق لمعنى الإسلام الذي نلتزم به، ومن أعظم معانيه الاستسلام لله عز وجل..

الاستسلام الكامل في كل شئون الحياة، فيجدنا حيث أمرنا ولا يرانا حيث نهانا..

فالفرد الملتزم مستسلم لأمر ربه في عقيدته وعبادته وسلوكه ومعاملاته بين الناس.

والأمة الملتزمة مستسلمة لأمر ربها في شرعها وحكمها وعلاقتها بسائر الأمم.

والالتزام الحقيقي هو تحقيق قول الله عز وجل:﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:١٦٢).

وهو تحقيق رسالة الإنسان في هذه الحياة : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

هو الاستسلام الكامل لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦).

ومن علامات هذا الالتزام الاستسلام لأمر الله عز وجل في الظاهر والباطن ..

ففي الباطن: يلتزم المسلم بتوحيد الله عز وجل، وبتقوى الله عز وجل، والخوف منه والرجاء في رحمته.. إلخ

وفي الظاهر: يلتزم المسلم بأداء ما افترض الله عز وجل عليه من صلاة وصيام وحجاب للمرأة المسلمة ..... إلخ

وعلى هذا فمن أظهر للناس صلاحاً، وهو غير ذلك في خلوته فالتزامه ناقص ..

ومن أظهرت للناس صلاة وصياماً للنوافل، وهي غير مرتدية للحجاب الشرعي فالتزامها ناقص ..

ومن أظهر للناس ذهاباً وإياباً للمساجد ولسانه غير منضبط، فتارة يغتاب، وأخرى ينم، وثالثة يكذب فالتزامه ناقص.

لكن هذا الالتزام لا يأتي في يوم وليلة، بل يحتاج مجاهدة ومحاولة تلو المحاولة، وفشل يعقبه نجاحات بفضل الله، وعلى قدر إخلاص الإنسان؛ ولى قدر إرادته وبذله، يترقى في مقامات الالتزام بدين الله عز وجل.

وأثناء هذه المحاولات المتتالية يعتري الإنسان شيء من الفتور والإحساس بالملل، وهذا شعور طبيعي ليس بغريب، فقد أخبرنا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن لكل عمل شرة، وإن لكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح وأنجح، ومن كانت فترته إلى معصية فقد خاب وخسر».

ففي بداية الالتزام تكون «الشرة» والعنفوان والقوة، كإنسان ظامئ وجد الماء أمامه، فشرع ينهل منه الكثير والكثير، ثم يعقب هذا «الفترة» وهي الفتور والشعور بالكسل والملل .

فالواجب علينا كما أوضح لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نجعل فترات الفتور تصل بنا إلى المعصية، أي أن نجعل لأنفسنا حداً أدنى من العلاقة مع ربنا لا ننزل عن هذا الحد أبداً.. قد نعلو عنه في أوقات «الشرة» لكن لا ننزل عن هذا الحد أبداً في أوقات «الفترة».

وعلى طريق الالتزام، وحين يتملك من الإنسان الفتور؛ يحتاج الإنسان أعواناً على الخير ويكون في أشد الاحتياج إلى صاحب يقوي من عزمه، ويشد من أزره، ويذكره بربه، ولذا أرشدنا رسول الله صلى الله عليه سلم بالصحبة الصالحة فقال لنا: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

فلابد من مصاحبة الأخيار الأطهار الذين يعينون على طاعة الله عز وجل، والبعد عن مصاحبة الفجار الذين ينسى الإنسان معهم دينه، وخلقه فالصاحب ساحب.

فالمصاحبة تكون للأخيار الأطهار الملتزمون بدينهم، أما غيرهم من غير الملتزمين فالواجب دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وجذبهم إلى طريق الالتزام، لا الانجذاب معهم إلى طريق المعصية.

فديننا يأمرنا ألا يكون أحدنا إمعة، يقول: أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنا، وإن أساءوا أسأنا، ولكن علينا أن نوطن أنفسنا إن أحسن الناس أحسنا ، وإن أساءوا أن نجتنب إساءتهم.

فاستعيني بالله أختاه، واسلكي طريق التزامك بدينك مستعينة بالله مخلصة له، ملتزمة بالحجاب في ظاهرك وباطنك، واعلمي أن من أدمن طرق باب ربه، فيوشك أن يفتح له بابه سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

• كاتبة صحافية متخصصة في الدعوة
• استاذة بجامعة المنصورة – مصر.

الترجمة
ودورها في
حوار الحضارات

الضياء - حاتم حسين

هل يمكن أن نتخيل عالماً بدون ترجمة؟ كيف يمكن للشعوب المختلفة أن تفهم بعضها البعض بدون ترجمة؟ وما هو الدور الذي لعبته الترجمة في تعريف الحضارات البشرية على بعضها البعض؟ هذه هي بعض الأسئلة التي نود طرحها هنا باعتبار أن الترجمة تمثل رفضاً لأطروحة صموئيل هنتنغتون عن صراع الحضارات. فالترجمة تثبت أن الحوار بين الحضارات شيء ممكن. بل وحصل هذا الحوار في التاريخ أكثر من مرة. فهل كانت النهضة الأوروبية سوف تحصل لولا ترجمة أمهات الكتب الفلسفية والعلمية العربية إلى اللاتينية؟ من المعلوم أن مدرسة طليطلة هي التي نقلت فكرنا إلى الأوروبيين بين القرنين التاسع والثاني عشر الميلاديين. ولكن كانت هناك مدارس أخرى أيضاً في صقلية وغيرها من مدن جنوب أوروبا. ويمكن أن نقول الشيء نفسه عن ترجمة العلم الأوروبي إلى لغتنا العربية في بداية القرن التاسع عشر أيام محمد علي. ثم ما انفككنا نترجم منذ ذلك الوقت وحتى اليوم. وقل الأمر ذاته عن اليابانيين الذين ابتدأت نهضتهم عام ١٨٦٠ عن طريق ترجمة المؤلفات الإنجليزية والفرنسية والألمانية.

يقول الفيلسوف الفرنسي الشهير بول ريكور إن هناك طريقتين للترجمة. الأولى هي النقل الحرفي لرسالة لفظية من لغة إلى أخرى. وهذا هو المعنى الضيق أو الاصطلاحي للترجمة. فهكذا نترجم كتب ديكارت إلى الألمانية، أو كتب هيغل إلى الفرنسية... ولكن هناك معنى واسع لكلمة ترجمة ألا وهو: تأويل نظام فكري كامل داخل نفس الجماعة القومية أو اللغوية او بين لغتين وثقافتين مختلفتين. فالترجمة بالمعنى الأول كانت دائماً ضرورية. لماذا؟ لأنه توجد عدة لغات بشرية وليس لغة واحدة. فلو كانت البشرية تتكلم لغة واحدة لما احتجنا إلى الترجمة! هذا تحصيل حاصل. وبالتالي فإن الترجمة كانت دائماً وسيلة للتواصل بين اللغات والثقافات المختلفة. إن الترجمة هي نافذتنا على العالم الخارجي. فلولاها لما عرف الفرنسيون أهمية كانط، أو هيغل، أو شكسبير، أو دوستويفسكي، الخ... ولكن الترجمة بالمعنى الثاني تعني الفهم. فالمثقف الفرنسي لكي يفهم ديكارت ينبغي أن يترجمه، أي أن يستوعب فكره وظروفه على ضوء الظروف الحالية. والمثقف العربي المعاصر لكي يفهم المعري مثلاً ينبغي أن يترجمه إلى لغة عربية حديثة أولاً، وأن يستوعب تساؤلاته في عصره على ضوء تساؤلاتنا في عصرنا. فرسالة الغفران مثلا لا يقدر على فهمها الا القليلون. وبالتالي فياحبذا لو يبسطها لنا او لطلابنا أحدهم. وقل الأمر ذاته عن فلاسفة الغرب. فأحيانا كثيرة يصعب فهمهم عن طريق الترجمة الحرفية وحدها. وبالتالي فنحن بأمس الحاجة الى تلخيص كتبهم وأفكارهم العويصة وتقريبها الى أذهان الجمهور. وهذا ما أحاول ان أفعله أنا مع فلاسفة التنوير بشكل خاص..

ويرى بول ريكور أن البشرية كانت دائماً تترجم حتى قبل ظهور المترجمين المحترفين. فقبلهم كان يوجد الرحّالة، والتجار، والسفراء، وغيرهم، وكلهم مترجمون بشكل أو بآخر. كلهم كانوا يعرفون أكثر من لغة. ثم يحصر ريكور مسألة الترجمة بين هذين القطبين: الإخلاص/والخيانة. فالترجمة إما أن تكون مخلصة لحرفية النص أو خائنة له. ويقال بهذا الصدد بأن الخيانة مكروهة في كل شيء ما عدا الترجمة ! ينبغي أن تخون الحرف لكي تخلص للمعنى، لروح النص. ويرى بول ريكور أنه لا يوجد معيار مطلق للترجمة الجيدة. ولهذا السبب توجد عدة ترجمات لنفس النص أحياناً. فالمترجم الفرنسي المحترف لكي يبرهن على ضعف ترجمة سابقة لهيغل يقوم بترجمة جديدة ! وهذا ما حصل. فقد ترجمت بعض كتب هيغل أو كانط أو نيتشه أكثر من مرة إلى الفرنسية. ويقول ريكور: إننا نحن الفرنسيين نعيش على ترجمات معادة لكبار الكتاب الأجانب: من أمثال هوميروس، أو شكسبير، أو غوته، أو هولدرلين، أو أفلاطون، أو نيتشه، أو غيرهم، الخ...

وأما الباحث جيل دولانوا الاستاذ في المعهد القومي الفرنسي للعلوم السياسية فيتحدث عن كيفية ترجمة

مدرسة طليطلة هي التي نقلت فكرنا إلى الأوروبيين بين القرنين التاسع والثاني عشر الميلاديين

المثقف العربي المعاصر لكي يفهم المعري مثلاً ينبغي أن يترجمه إلى لغة عربية حديثة أولاً، وأن يستوعب تساؤلاته في عصره على ضوء تساؤلاتنا في عصرنا

الفكر الصيني. ويرى أن الترجمة تزداد صعوبة كلما كانت اللغات متباعدة جداً. فما الذي يجمع بين اللغة الصينية واللغة الفرنسية؟ لا شيء. يمكنك أن تترجم من اليابانية إلى الصينية، أو من الكورية أو الفيتنامية، ولكن من الفرنسية؟ ومع ذلك فقد ترجمت العديد من الأعمال الفرنسية إلى اللغة الصينية، والعكس صحيح أيضاً. وهذا دليل على وجود شيء مشترك بين اللغات والثقافات الأكثر تباعداً. وهذا الشيء المشترك هو البعد الكوني للمشاعر والعواطف البشرية. فالحسد، أو الغيرة، أو الحب، أو الحكمة، أو الجنون، أو العقل، كلها أشياء موجودة في جميع اللغات، ولكن تعبّر عنها الأمم بكلمات مختلفة. وبالتالي فيمكن ترجمتها من لغة إلى أخرى. بالطبع فإن أصعب شيء هو ترجمة الشعر لأن الشعر مرتبط باللغة أكثر مما يجب، الشعر هو اللغة... ويستحب أن تقرأ الشعر في لغته لا مترجماً. ولكن على الرغم من ذلك فهناك ترجمات فرنسية للشعر الصيني أو الياباني أو العربي... والعكس صحيح ايضا. فكم ترجمنا نحن العرب شعر الانكليز والفرنسيين من أمثال شكسبير وت.س. ايليوت وبودلير ورامبو الخ..؟

هذا وقد وجه بعض الناشرين والأساتذة الجامعيين الباريسسين الى الهيئات العليا «رسالة مفتوحة عن سياسة الترجمة». وفيها يحذّرون المسؤولين من خطورة تراجع الترجمة الفكرية أو الفلسفية في فرنسا وعموم أوروبا. فحتى وقت قريب كانت دور النشر الفرنسية تترجم أهم الأعمال الألمانية، أو الأنغلوساكسونية أو غيرها إلى اللغة الفرنسية. ولكن الترجمة ابتدأت تتراجع منذ عام ١٩٩٥ على الأقل. وهذا خطر على الخصوبة المعرفية أو التلاقح الفكري بين الثقافات الحية. ونعرف من هذه المقالة أن ميشيل فوكو هو الذي حثّ على ترجمة الفيلسوف الأميركي ريتشارد رورتي إلى الفرنسية عام ١٩٨٠. ولولاه لما ترجم أو لتأخرت ترجمته. بل وكان فوكو قبل موته يفكر بتخصيص قسم كامل في دار نشر «سوي» لعرض الكتب الالمانية والانكليزية وسواها لكي يتعرف عليها القارئ الفرنسي. فعرض الكتب الجديدة أصبح فعالية ثقافية هامة جدا ولا تخلو منها أي جريدة كبرى او دار نشر او مجلة تحترم نفسها. فتخيلوا ان ميشيل فوكو في أواخر حياته يتحول الى عارض للكتب الاجنبية! ولم لا؟ هذا من جهة.

وأما من جهة اخرى فاننا نعلم أن أكثر الفلاسفة المترجمين حالياً إلى اللغات الأجنبية هم دريدا، فوكو، هابرماس، رولس... وبالطبع فإن الترجمة مرتبطة بقوة اللغة أو أهميتها على المسرح الدولي. فمن الواضح أن الفرنسيين يترجمون عن الإنجليز والأميركان أكثر مما يترجم هؤلاء الأخيرون عنهم. لماذا؟ لان الإنجليزية أقوى من الفرنسية وأهم. وهذا ما يحزن الفرنسيين كثيرا بل ويغيظهم. ونعلم أيضاً أن اليابانيين يترجمون عن الفرنسية أكثر مما يترجم الفرنسيون عنهم، لأن اللغة الفرنسية تبقى أهم من اللغة اليابانية على المسرح الدولي وأكثر انتشارا. ونعلم أيضاً أننا نحن العرب نترجم عن الفرنسية والإنجليزية أكثر بكثير مما يترجم الفرنسيون والإنجليز عنا. وذلك لسبب بسيط: هو ان المعرفة الحديثة متوافرة في لغتهم اكثر من لغتنا بكثير. ولكنهم يترجمون عنا بعض الروايات و الدواوين الشعرية ومؤلفات التراث الكبرى. ولكن ينبغي الاعتراف بأن إسهامنا في مجال الفلسفة والعلوم الإنسانية والبحث العلمي لا يزال ضعيفاً جداً. وبالتالي فلا

الترجمة إما أن تكون مخلصة لحرفية النص أو خائنة له. وينبغي أن تخون الحرف لكي تخلص للمعنى، ولروح النص

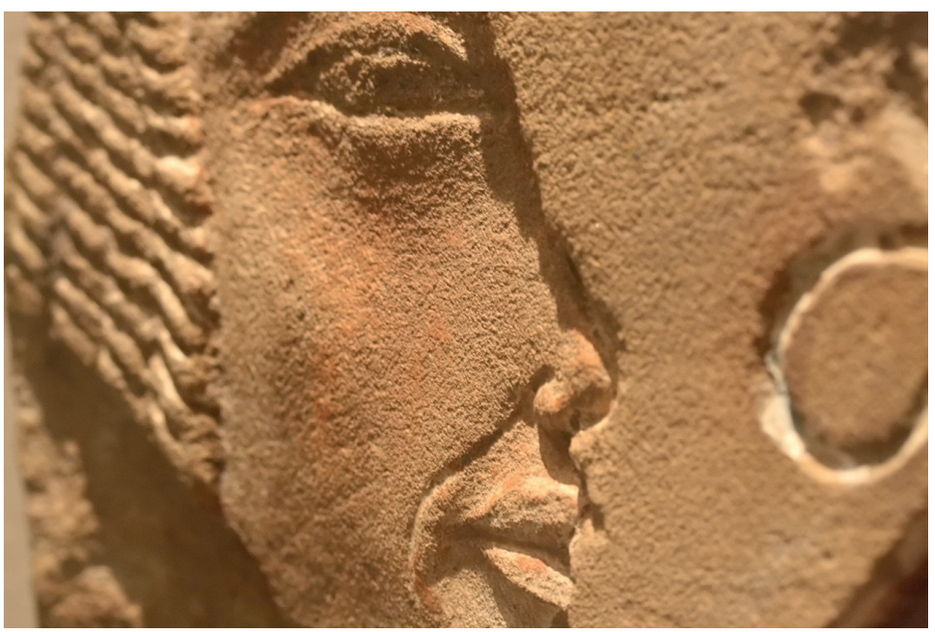

من الصعوبات التي تعرقل الترجمة في فرنسا ضعف الأجور. فإن ٢٠ يورو وأحياناً أقل بكثير، مبلغ ضعيف فيما يخص الترجمة الفلسفية

أحد يفكر بترجمة الفكر عنا... من الصعوبات التي تعرقل الترجمة في فرنسا ضعف الأجور. فالمترجم يتقاضى على الصفحة ٢٠ يورو (وأحياناً أقل بكثير)، وهذا مبلغ ضعيف فيما يخص الترجمة الفلسفية. فمن المعلوم أنك لكي تترجم كتب الفلسفة ينبغي أن تكون فيلسوفاً... والمترجم بهذا المعنى مفكر مثله في ذلك مثل بقية المفكرين الآخرين. فمن يستطيع أن يترجم كانط ، أو هابرماس، أو هيدغر الى الفرنسية؟... وحدهم المطلعون على الفكر الفلسفي من الداخل وبشكل عميق يستطيعون ذلك. وبالتالي فلا ينبغي أن نستهين بعملية الترجمة أو نحتقرها بحجة أنها فعالية ثانوية. فالواقع أنها أساسية وصعبة جدا ولا يقدر عليها إلا المفكرون أنفسهم. ولكن الترجمة لا تنهض فقط على الجهود الفردية، وإنما تلزمنا سياسة عامة للقيام بها.

مهما يكن من أمرلا بد من ترجمة أهم المؤلفات الفلسفية من الفرنسية، إلى الألمانية، إلى الإنجليزية، إلى الإيطالية، الخ...والعكس صحيح ايضا. وهذا برهان أيضاً على أن الترجمة سوف تلعب دوراً مهماً في توحيد الوعي الأوروبي أو التقارب بين الشعوب الأوروبية.. ولكن فرنسا تخشى من الهيمنة الثقافية الأميركية على العالم. فالإنجليزية همَّشت الفرنسية، والأفلام الأميركية غزت العالم، وقل الأمر نفسه عن المسلسلات التلفزيونية والكتب والمجلات.. وفي العقدين الأخيرين أضيف المجال المعلوماتي بكل عناصره من برمجة وأنظمة ولغة وأصبح غوغل الاميركي يسيطر على كل شيء.....ولذلك أدان كلود شيسون في البرنامج الثقافي الخارجي لفرنسا الإمبريالية الثقافية الأميركية. وحذَّر من هيمنة نمط ثقافي واحد على العالم. ودعا إلى عالم متعدد الثقافات. ثم خفَّف المسؤولون الفرنسيون فيما بعد من حدة إدانتهم للهمينة الأميركية وراحوا يدعون فقط إلى الدفاع عن اللغة الفرنسية، والسينما، والكتاب بشكل خاص. والواقع أنه لا حيلة لهم في الأمر. فالهيمنة الأميركية أمر واقع، ولا أحد يعرف إلى متى ستطول. وينبغي أن نتعامل معها كما هي وأن نعترف بإيجابياتها وسلبياتها وليس فقط بسلبياتها. ولكن من الواضح أن التعددية اللغوية والثقافية والفنية شيء ضروري. وليس مستحبا ان تهيمن لغة واحدة او ثقافة واحدة على كل ثقافات العالم. ونحن العرب مدعوون أيضاً للدفاع عن لغتنا وثقافتنا مثلما يفعل الفرنسيون. وبهذا الصدد أقول ينبغي أن نبذل جهوداً أكبر لتعليم اللغة العربية في الخارج كما تفعل فرنسا فيما يخص تدريس اللغة الفرنسية إلى الأجانب. وختاماً فإن التواصل الثقافي بين مختلف شعوب العالم يمر أساساً عن طريق الترجمة التي ينبغي تشجيعها ورصد الإمكانيات اللازمة لها. ولحسن الحظ فان العرب ابتدأوا مؤخرا يهتمون جديا بمسألة الترجمة ويرصدون لها الأموال بل ويخصصون لها الجوائز الكبرى كجائزة الشيخ زايد وسواها. وهذا شيء يبشر بالخير..

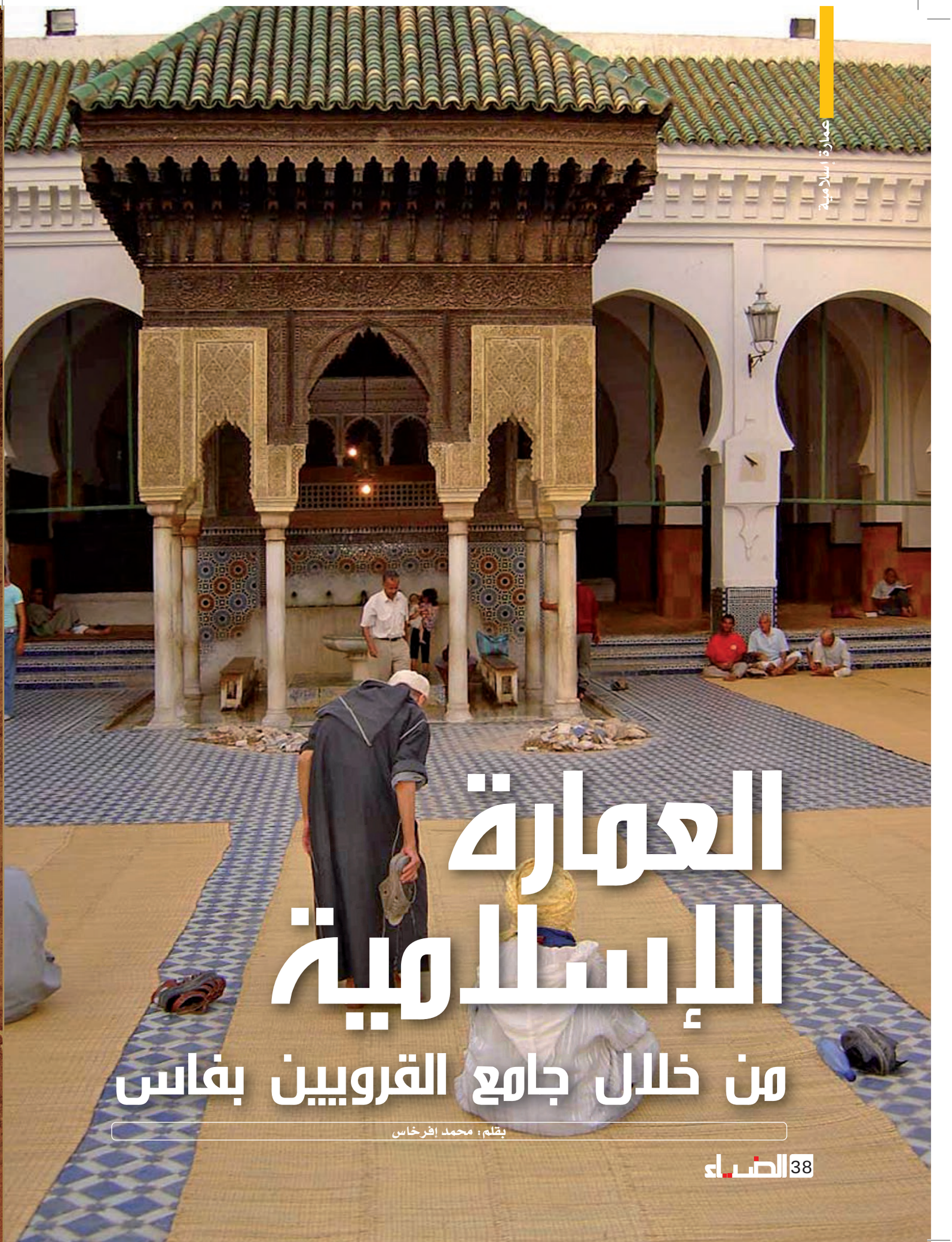

العمارة الإسلامية

من خلال جامع القرويين بفاس

بقلم: محمد إفرخاس

اتسمت العمارة العربية بطابع يميزها عن مثيلاتها من العمارات والزخارف والتصميمات، وقد نبغ المهندسون المسلمون في الأعمال الهندسية المعمارية، والتصميمات العربية العظيمة. وهذا الفن الإسلامي الرائق يتطلب منهم التمكن في علوم الهندسة والرياضة. ولقد أثر العرب بعبقريتهم الفذة في المهندسين من الروم الذين اعتمدوا عليهم في اول إقامتهم بأسبانيا، ثم أخذوا يتحررون من الفن البيزنطي مثل إخوانهم في مصر، ومرت العمارة في الأندلس بثلاثة أدوار، يمثل الدور الأول منها أقدم مباني العرب في الأندلس وهو جامع قرطبة، وقد أقيم في الدور الذي يسمي (فن العمارة البيزنطي العربي)، وهو وإن كان يشتمل بوضوح على عناصر من الفن البيزنطي، فهو يختلف عن المباني البيزنطية بما فيه من الزينة بالخط الكوفي، وبأقواسه المصنوعة على شكل حدوة الحصان، ويمثل الدور الأخير من الأدوار الثلاثة قصر الحمراء.

والحق أن العمارة الإسلامية لها مدارس وأساليب تميزت بها وانفردت بطرزها وشخصيتها عن الفنون العالمية، وتطورت وازدهرت بفضل الرعاية والتشجيع، وابتدعت أنماطا وأساليب فريدة، كاستخدام الزخارف النباتية والهندسية والكتابة العربية، بل والإسراف في استخدامها، حتى ميزت هذا الفن وأصبحت علما عليه. وكانت أساليب الفن – وما زالت – تحظى بتقدير رجال ومؤرخي الفنون العالمية، لما اتسمت به من جمال وإبداع وابتكار.

ولقد كان المسجد الأول في المدينة المنورة أساس العمارة الدينية، وجاء بسيطا يتناسب في عمارته مع تقشف المسلمين وزهدهم، لكن عمارة المساجد تطورت وازدهرت بعد الثروة والرخاء التي شملت الدولة العربية الناهضة، والتي امتد سلطانها بين الهند شرقا، والأندلس غربا، وأصبح الأمر يقتضي تطويرا ليتفق المسجد ومكانته في النفوس مع تقدم الدولة العربية، فضلا عن ضرورة الاهتمام بتحسين المساجد بشكل عام.

ومن أهم المساجد الإسلامية: جامع القرويين بمدينة فاس المغربية، أنشاه إدريس الثاني في عهد الأدارسة سنة ١٩٢هـ-٨٠٨م، عندما جاء من (وليلى) إلى (فاس) ليتخذها عاصمة له ومركزا لجماعته، وكان جامعا صغيرا بسيطا، يدعى آنذاك ب: (جامع الشرفاء) ثم جددته أم البنين فاطمة الفهرية، عام (٢٤٥هـ-٨٥٩م)، حيث وهبت كل ما ورثته من أبيها محمد الفهري لبنائه وتوسيعه، وظلت صائمة محتسبة إلى أن انتهت أعمال البناء فيه، وصلت فيه شكرا لله تعالى.

وجامع القرويين اشتركت في بنائه جميع الدول التي تعاقبت على الحكم في المغرب، وهو علم من أعلام الحضارة الإسلامية، ومركز العبادة، ورمز من رموز الهوية الإسلامية، وصرح من صروح الفكر والثقافة في العالم. وهو أقدم جامعة في التاريخ، تحولت اليوم إلى جامعة حديثة تدرس علوم الإسلام وعلوم العصر الحديث.

وكان الجامع – في أول الأمر – يتكون من أربع بلاطات ابتداء من القبلة، ولكن بلاط (١٢) قوسا من الشرق إلى الغرب، ثم زيد في بنائه في عهد الأمير أحمد بن أبي بكر الزناتي – وبإعانة مالية من الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث – فبلغت (١٣) اسكوبا و(١٨) بلاطا.

العمارة الإسلامية لها مدارس وأساليب تميزت بها وانفردت بطرزها وشخصيتها عن الفنون العالمية

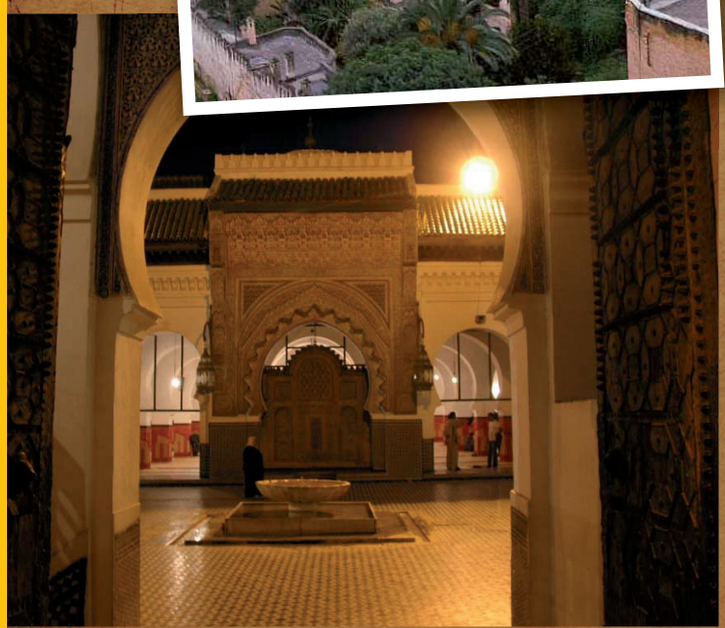

درجة، ونمقوا بابها الكبير بصفائح النحاس الأصفر سنة ٣٤٥هـ، وجعلوا في أعلى الباب قبة صغيرة، وضع في ذروتها تفاحيح مموهة بالذهب في زج من حديد، أثبت فيه سيف المولى إدريس، وتحت هذه القبة قبة أخرى أكبر منها للمؤذنين، وفي المنارة بيت للمؤقت، ورخامة شمسية وساعات رملية.

وفي سنة ٣٨٨هـ صنع المظفر بن المنصور منبرا للقرويين من عود الأبنوس والعناب.

ولقد كشف حديثا عن الفن الأندلسي الذي كان يزين جامع القرويين، من جص مقربص، ونقش بورقة الذهب، واللازورد، والأصبغة المتعددة من أزرق وأحمر...، ومغرة صفراء من مح البيض الذهبي، وأشكال الزجاج الملبط بدهان كامد، للتخفيف من حدة انعكاسات الإشعاع، كما كانت أشكال الزجاج في الشماسات التي بجوانب القبلة.

وقد جهز الجامع بمستودعات لأموال الجامع وأمانات الناس، وحصنت بخشب الأرز، وصفحت بصفائح حديدية، وبجانب الجامع دار للوضوء، بها (١٥) بيتا، مع طابق في سقف كل بيت للإنارة، وأنبوب نحاسي لصب الماء في نقير محفور من

وفي عهد يوسف المرابطي، أضاف القاضي عبد الحق بن معيشة زيادات أخرى، فأصبح الجامع يتألف من (١٦) اسكوبا و(١١) بلاطا.

ووسع الزناتيون الجامع فزادوا به، ونقلوا الخطبة إليه، وهدموا الصومعة الأولى، وبنوا مكانها أخرى، ذات مائة

حجر، ودار أخرى للوضوء أصغر منها مخصصة للنساء، وفي وسط الجامع صحن تحفة فنية خالدة بهندستها المعمارية، وتحيط بالصحن أربع مظلات أكبرهن مظلة القبلة. كما أقيمت العنزة سنة ٦٨٨هـ، وهي محراب خشبي في الصحن، تجلت فيه آيات الفن من دقة االخرط والنقش، كما صنعت (السقاية) المنمقة بالجص والحجر المنجور وأنواع الصبغة، وبجانب المحراب مقصورة بابها من خشب الأرز.

أما منبر الجامع فهو من أجمل المنابر المعروفة إلى اليوم، وهو نموذج للفن المغربي الأندلسي. كما يوجد بالجامع (٣٠٠) سارية، عشرة منها من المرمر، وهي متقاطعة متوازية في أساكيب، ووسطها الثريا التي كانت ناقوسا كبيرا غنمه المسلمون من كنائس النصارى في إحدى غزواتهم، ونصبت بدقة، بحيث ينظر منها جميع أبواب الجامع، وبالجامع أيضا (٢١) بلاطا و(١٣٠) ثريا مختلفة الألوان والصناعات والمصادر.

وتحيط بالجامع من الشرق والغرب والشمال أروقة ذات أقواس، عرض كل منها ثلاثون ذراعا، وطولها أربعون ذراعا، وفي أسفل الأروقة خزائن يودع فيها الزيت والمصابيح والحصر وغيرها، وتوقد في الجامع كل ليلة (٩٠٠) مصباح، على كل قوس منها مصباح، وفوق الأقواس التي تشق وسط الجامع قبالة المحراب (١٥٠) مصباحا. وللجامع (١٧) باب وجناحان يلتقيان في طرفي الصحن الذي يتوسط المسجد، كل جناح يحتوي على مكان للوضوء من المرمر، وهو تصميم مشابه لتصميم الصحن الأسود في قصر الحمراء في الأندلس.

وفي عمليات ترميم الجامع، تم اكتشاف أزيد من (٣٠٠) قطعة أثرية تحت أرضية بهو الصلاة الأعظم للجامع، كما عثر على بقايا تاريخية نادرة، يرجع عهدها إلى القرن ١٢م، كما أقيمت منطقة حفر بقياس ١٧٢متر مربع، فكشفت عن عدد من المساكن والزقاق القديمة.

وهكذا زخرف جامع القرويين بروائع الفن المزدوج، الأندلسي والمغربي، الذي بلغ ذروته في القرن الخامس الهجري، حتى إن بناء القصور والكنائس في الغرب كان متأثرا بالفن المعماري الإسلامي.

العرب أثروا بعبقريتهم الفذة في المهندسين الروم

بناء القصور والكنائس في الغرب كان متأثراً بالفن المعماري الإسلامي

• كاتب مغربي باحث في التراث الإسلامي.
• باحث بإدارة البحوث بالشؤون الإسلامية دبي.

الهجرة النبوية

د. أحمد بن عبد العزيز الحداد
كبير مفتين مدير إدارة الإفتاء

أي يوم يشعُّ فيه السَّناء ... بذرى المجد أو يكون اللِّقاء؟
أي يوم يكون فيه حبيبُ ... محدقا حولَه أناسُ عداء؟
أي يوم يكون هذا ؟! فمهلاً ... ذاك يومُ قد سنه الأنبياء
يوسفُ قبله وإبراهيم نـ ... ـوحُ ثلة علماء
سنة الله قد خلت في أناس ... ثم نصرٌ يزول منه العناء
سيد الكون لا تبالِ بجمعٍ ... حسبُك الله فهو مولَى كفاء
إن يكنْ قومُك اليوم حمقى ... فغداً ينجلي لديهم غشاء
في حمى الله سيدُ الكون أنتم ... فسيوف العدى عَلاها الصَّداء
اذهبوا وارجعوا حيارَى صَغاراً ... سيدُ الخلق قد حمته السماء
" أخرجوه منها فآواه غارُ ... وحمته حمامةُ ورقاء"
أخرجوه منها فمَخرجُ صدقٍ ... ودخولُ بمثله و الثَّواء
أخرجوه وكم تَعزُّ عليه ... يا لذاك الخروج منه العَناء
كم يلاقي الهمامُ من ذا عَناءً ... أن يكون العدى قومُ إخاء
ما دعاهم إلا لفوز ولكن ... قد عماهم عن الُهدى الكبرياء
أيها الناس لا تُنادُوا شريكاً ... بل إلهاً وليس ثم كفاء
أسلموا تسلموا وأنتم سَراةُ ... وجميع الورى لديكم سواء
حاربوه وقالوا كلا و لا بـ ... ـد أن تكون المناةُ ندُ وفاء
غيرهذا فأنت شخصُ طريدُ ... أو أسيرُ و قد يكون الفناء
يا لَعمري فكيف يرضون هذا؟ ... إن هذا الصدودَ هزوُ هراء
تلك دعوى من الشياطين أوحَوا ... صدقوها فصح فيها الهجاء
أتُرون الحبيبَ يبقى أسيراً ... أو قتيلا فأين عنه الحِماء؟!
"فكفته بنسجها عنكبوتُ ... ما كفته الحمامة الحَصداء"
"واختفى منهُمُ على قرب مـ ... ـرآهُ ومن شدة الظُّهور الخفاء"
إن مولاه قد حماه بجند ... من نسيجٍ يَنِم فيه الوَهاء
يا إمام الهدى فأهلاً وسهلاً ... بربوعٍ يهتز شوقاً قُباء

ذاك دار الحِمى لديه أناسُ ... يرقبون اللِّقا وفيهم إباء
في رُباها ترعرعوا لنزالٍ ... إذ يكونُ النِّزالُ فيه الشِّفاء
"فنحى المصطفى المدينة واشتـ ... ـاقت إليه من مكةَ الأنحاء"
يا إمام الهدى فلستَ طريداً ... أنت نورٌ يشعُ منك البَهاء
وعدك اليوم بسوارٍ لكسرى ... فيه بُشرى وفيه فتحُ رخاء
يا إمام الهُدى فعُذراً وعذرا ... من أناسٍ قد كان منهم غَباء
يا رسول الهدى فعفواً وصفحاً ... من أناسٍ أعماهم الخُيلاء
قد رعاك الإلهُ طفلاً يتيماً ... هل ترى أن يكون منه الوَناء؟!
هجرة اليوم تفتح البابَ كيما ... يُهجر الكفرُ و الردى والشقاء
هجرة المصطفى تنادينا دوماً ... أن تعالَوا فذا كلام سواء
يا رجال الشعوب هلا سألتم ... من يكون الذي إليه اللِّواء؟
يوم يجثُو إلى المهيمنِ يدعو ... فالخلاصَ الخلاصَ ذاك الدعاء
أين موسى وأين عيسى ونوحُ؟ ... كلهم قد أبى وزاد البلاء
والرءوفُ الرحيم قد قال أهلاً ... والإلهُ الكريمُ منه السَّخاء
قد عهدتم في عالم الذر طُرا ... وعهود الإلهِ فيها الوَفاء
كم نبيٍ أعطى لمولاه إصرا ... إن أتاه النبي ففيه اقتداء
بل يكون الوفيُّ يوم قتال ... ذا فخارٌ فطاب فيك الفداء
فإذا ما الرسول كان شفيعاً ... طبتَ نفسًا فليس ثم عَناء
وإذا ما النبيُّ قد كان ذُخراً ... فالتباهي فما لعيبٍ بقاء
يا نبيَّ الهدى فكن لي شفيعاً ... أنت نورٌ و منك شعَّ الضياء
أمة المجد عشتم اليوم ذكرى ... فرسولُ الهدى و أنتم إخاء
و رسول الهدى لديكم وفيكم ... لا تُولُّوا فتلكُمُ القهقراء
ليت شعري وهل نعود لمثلٍ؟ ... ذاك نرجو ومنه ربي العطاء
ثم صلَّى الإلهُ دوماً مديما ... عدَّ مزن يُعم منها الرخاء
وسلاما يخص أحمد طه ... يبلغنْه في أيِّ وقتٍ يشاء

من صور الإعجاز العلمي

الزائدة الدودية.. تشهد بعظمة المولى

قال الله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ • وَطُورِ سِينِينَ • وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ • لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(سورة التين). لقد أقسم الله تعالى بشجرة التين وشجرة الزيتون وبجبل الطور في سيناء وبمكة المكرمة ليؤكد على قضية مهمة جداً وهي أنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن خلقه (كما ذكر مجاهد) وفي أحسن صورة (كما ذكر قتادة والكلبي).

فلا يمكن أن يكون في خلق الله نقص ولا زيادة ولا عبث فكل شيء عنده بقدر يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (سورة القمر: ٤٩).

لقد كتبنا هذه المقدمة تمهيداً لعرض اكتشاف مذهل تسابقت وسائل الإعلام على نشره في صفحاتها الرئيسية هذه الأيام وهو أن الزائدة الدودية التي كان يظن الناس - خطأً - منذ عقود أنها عضو زائد في جسم الإنسان لا فائدة لها ظهر للعلماء أن لها منافع هائلة.

فقد قال فريق طبي أمريكي قبل أيام أنه اكتشف الدور الحقيقي للزائدة الدودية التي تحير العلماء، وأنها مسؤولة عن إنتاج وحفظ مجموعة متنوعة من البكتيريا والجراثيم التي تقدم دوراً مفيداً للمعدة.

ولفت الفريق التابع لجامعة ديوك الأمريكية إلى أن هذا الاكتشاف قد يحسم الجدل حيال الدور المفترض للزائدة الدودية، بعد أن اعتبرت مدارس الطب الرسمية لعقود طويلة أنها عضو فقد دوره

مع تطور الإنسان وبات من الممكن إزالته دون ارتدادات سلبية (فقد كانت الزائدة دليلاً من الأدلة المزعومة لنظرية التطور الهالكة فانقلب السحر على الساحر وأصبحت دليلاً على وجود التقدير في الخلق وأصبحت من الأدلة المهمة التي تدحض نظرية التطور والصدفة في الخلق).

ووفقاً للدارسة التي أجراها الفريق ونشرها في مجلة (الطب النظري)، فإن عدد الجراثيم والبكتيريا التي يحويها جسم الإنسان تفوق عدد خلاياه، لكن السواد الأعظم من هذه الكائنات الدقيقة يمارس دوراً إيجابياً داخل الجسم، ويساعد على هضم الأطعمة.

وتشير الدراسة إلى أن أمراضاً معينة، مثل الكوليرا أو الإسهال الشديد، قد تؤدي إلى إفراغ الأمعاء من هذه البكتيريا والجراثيم المفيدة، وهنا يبدأ دور الزائدة التي يتوجب عليها في هذه الحالة العمل على إعادة إنتاج وحفظ تلك الجراثيم.

وللتأكيد على صحة ما ذهبت إليه، اعتبرت الدراسة أن موقع الزائدة الدودية في الطرف الأسفل من الأمعاء الغليظة، التي تعتبر ممراً أحادي الاتجاه للطعام، تشكل دليلاً على ذلك.

نريد أن نسأل الملحد الذي يعتز بكفره من الذي ألهم الخلايا أن تقوم بتخزين الجراثيم المفيدة في عضو صغير كمستودع، وعند حدوث نقص في عدد الجراثيم المفيدة يتم تعويض النقص مباشرة؟

هل يمكن أن يحدث هذا بالصدفة؟

هل كانت الخلايا تعرف مسبقاً أهمية الجراثيم المفيدة فقامت بتخزينها لحين الحاجة إليها؟

أصلاً الإنسان مع كل التجهيزات والعلوم التي يمتلكها لم يكن يعرف ما فائدة هذا العضو (الزائدة الدودية) ولا الجراثيم المفيدة إلا مؤخراً. أم هناك قدرة عليا (قدرة الله سبحانه وتعالى تقدر وتبرمج هذه الخلايا لتقوم بهذه المهمة؟

إنه الله سبحانه وتعالى الذي يستحق منا التفكر والحمد والخشوع والسجود إجلالا لفضله علينا بأن وهبنا جسداً في أحسن تقويم لا يمكن لأحد أن يصنع خلقاً مشابهاً لخلقه لا صورة ولا معنى.

يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة آل عمران: ١٩١).

عدد الجراثيم والبكتيريا التي يحويها جسم الإنسان تفوق عدد خلاياه، لكن السواد الأعظم من هذه الكائنات الدقيقة يمارس دوراً إيجابياً داخل الجسم، ويساعد على هضم الأطعمة

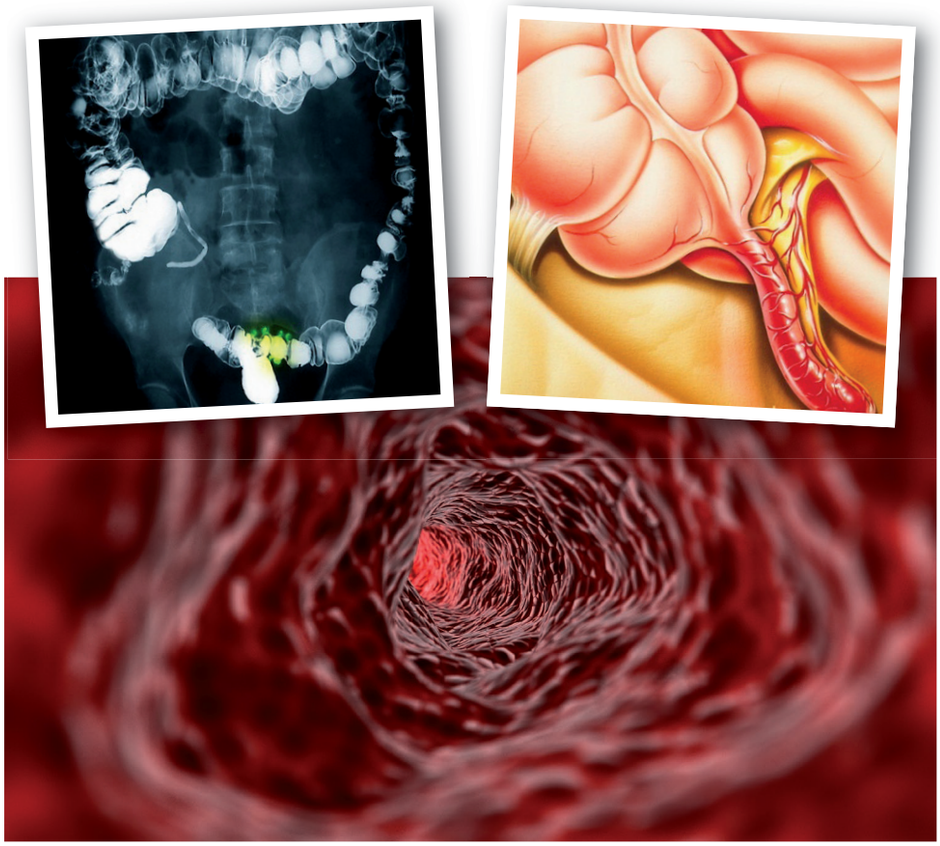

سعار الغلاء

يصيب أسعار الحج في أنحاء الوطن العربي

دبي - السيد محمود

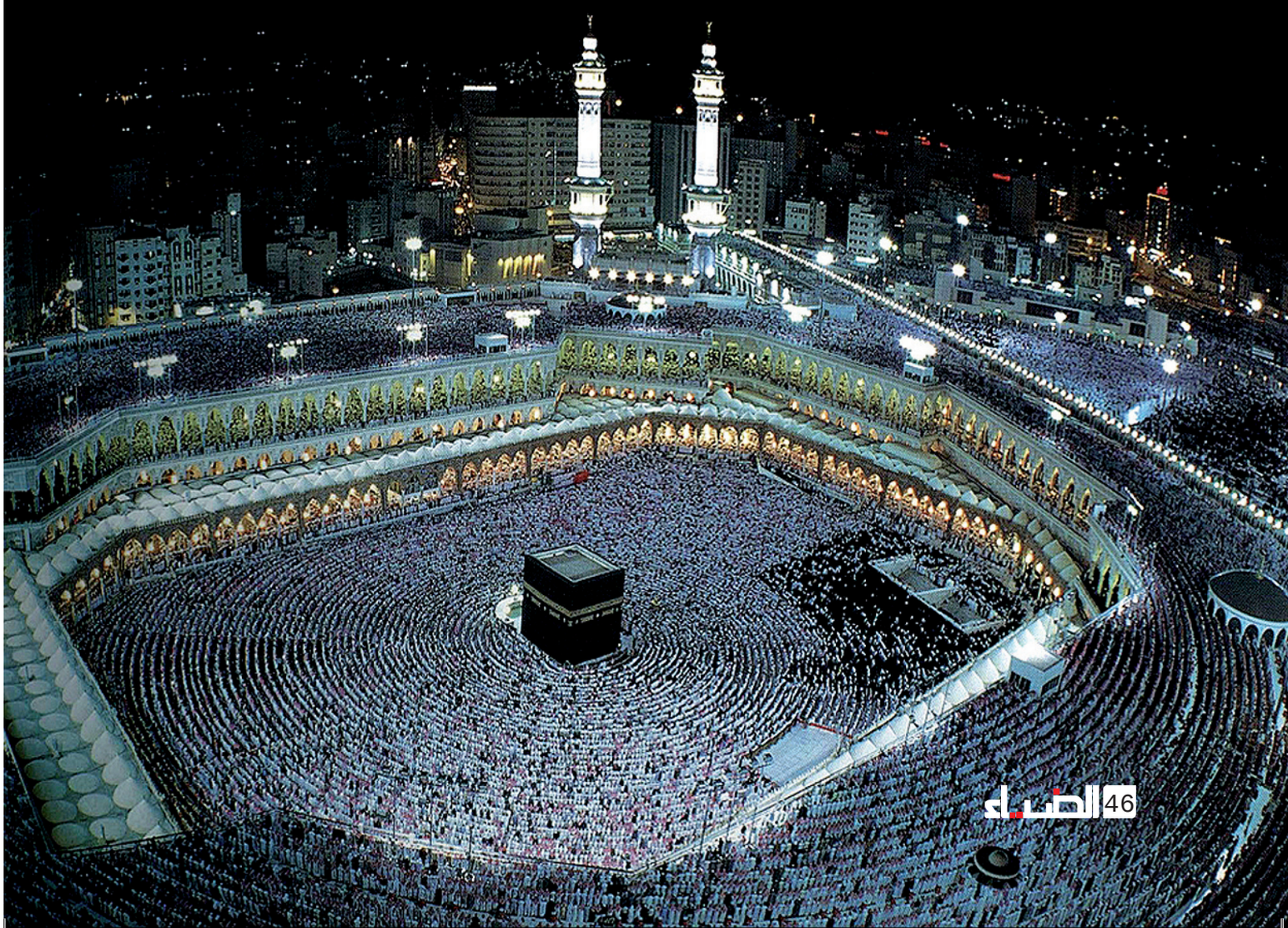

بعد ان اكتوى المواطن العربي بنار الغلاء في جميع مناحي حياته أخذ لهيب هذه النار يصيب الناس في أداء عباداتهم ومناسكهم فقد قفزت أسعار الحج قفزات كبيرة هذا العام وصل الى اكثر من ١٥٠٪ عن العام الماضي في بعض الدول ويرجع ذلك الى هدم مجموعة من الفنادق حول المسجد الحرام مما رفع ايجار أسعار الفنادق الاخرى وكذلك بسبب تقليص حصص بعض الدول والرغبة في الترفية على الحجاج من قبل بعض الحملات وسنستعرض في هذا التحقيق ارتفاع اسعار الحج في اغلب الدول العربية.

البحرين:

أكد عدد من أصحاب الحملات أن أسعار تكاليف الحج ارتفعت لهذا العام بنسبة تصل إلى ٦٠ في المائة لأن العمارات القريبة من مكة ارتفعت أسعارها نتيجة لتهديم ما يقارب ألف عمارة للسكن هناك.

وقال أحد أصحاب إحدى الحملات وفقا لما جاء بجريدة (الوسط) البحرينية : (إن تكاليف الحج ارتفعت بنسبة كبيرة، فالرحلة الأولى التي تكون عن طريق المواصلات البرية بلغت ٨٥٠ وبالطبع هذا شامل إلى جميع التكاليف وأما إذا كانت الرحلة عن طريق الجو فقد بلغت هذا العام ألفا و١٠٠ إذ إن التكاليف ستكون مقسمة على ٨٣٠ للسكن والأكل وغيرها في الوقت الذي سيبلغ سعر التذكرة ٢٧٠ دينارا لذلك فإن نسبة الزيادة بلغت ٦٠ في المئة مقارنة بالعام الماضي).

وذكر اصحاب احدى الحملات أن هناك إقبالا كبيرا على الحجوزات حاليا على رغم الأسعار المرتفعة، مشيرا إلى أن هناك تخوفا من أن تزداد الأسعار إلى ما فوق الألف دينار لذلك فإن الكثير من المواطنين قرروا أن يلتحقوا بركب الحجاج هذا العام حتى لا ترتفع الأسعار خلال العام المقبل.

وتوقع صاحب الحملة بأن ترتفع الأسعار خلال الأعوام المقبلة بنسبة كبيرة، مشيرا إلى أن بداية الارتفاع بدأت الآن لذا فإنه من الطبيعي أن ترتفع نسبة التكاليف بنسبة زيادة تصل إلى ٦٠ في المئة في كل عام و السبب هو تهدم العمارات هناك لذا فانه من الطبيعي أن ترتفع أسعارها، منوها إلى أن ذلك لا يقتصر على السكن فجميع الاحتياجات ارتفع سعرها سوى من أكل أو حتى المواصلات لذا فأن لابد أن ترتفع الأسعار.

السعودية:

اما في السعودية فقد بدأت شركات الحج والعمرة فرض أسعار جديدة على الحجاج، تماشياً مع سياسة الغلاء التي تسللت من المواد الغذائية وصولاً إلى الاحتياجات الأخرى كافة، ورفعت الأسعار بنسبة تصل إلى ٥٠ في المئة على الرحلة خلال فترة رمضان.

لهيب الأسعار أصاب الناس في أداء عباداتهم ومناسكهم فقد قفزت أسعار الحج قفزات كبيرة هذا العام وصل الى اكثر من ١٥٠٪ عن العام الماضي

وقال عاملون في قطاع شركات الحج والعمرة إن الأسعار خلال موسمي رمضان والحج ستشهد ارتفاعات كبيرة جداً تصل إلى أكثر من ٥٠ في المئة، خصوصاً أن بعض حملات الحج الكبيرة بدأت التسوّق بأسعار تتجاوز ١١ ألف ريال بينما كانت في العام الماضي لا تتجاوز ٦ آلاف ريال.

وأشاروا إلى أن قيمة الإيجار في مكة ارتفع بنسبة تصل إلى ١٠٠ في المئة، وفي منى إلى ١٥٠ في المئة، مؤكدين أن كثيرا من حملات الحج الصغيرة تفكّر جدّياً في الانسحاب من الموسم لهذا العام، مخافة الخسارة التي لا يستطيعون تحمّلها، مع احتمالات إحجام الكثيرين عن الحج بسبب هذه الأسعار.

قطر:

اما في قطر فقد هدد عدد من مقاولي لجنة الحج بعدم تسيير حملات الحج هذا العام ، بسبب تحديد حصة قطر بنحو ١٥٠٠ حاج فقط .

وأوضح المقاولون خلال اجتماعهم مع رئيس وأعضاء لجنة الحج أن التنازل عن تأجير العمارات بعد توثيق العقود مع ملاك العمارات يعني التنازل عن أغلب المبالغ المدفوعة، لافتين إلى أن أسعار السكن في مكة تضاعفت ثلاث مرات.

هدد عدد من مقاولي لجنة الحج بعدم تسيير الحملات، بسبب تحديد الحصص

ووفقا لما ورد بجريدة (الراية) القطرية أكد صالح محمد المري رئيس لجنة الحج أن اللجنة لن تقبل بالعدد الذي حددته وزارة الحج السعودية ، مطالباً بمضاعفة حصة قطر إلى ١٠ آلاف حاج.

وفي سياق متصل قررت حملة الأرقم عدم تسيير حجاج هذا العام ، وتنازلت عن حصتها إلي جمعية قطر الخيرية.

يأتي ذلك في الوقت الذي ناقشت فيه لجنة شئون الحج موضوع الاستعدادات لموسم الحج الجديد ، وذلك خلال اجتماع مع المقاولين بفندق المليونيوم .واستعرض الاجتماع المستجدات المطروحة علي الساحة عقب ارتفاع أسعار المباني في مكة المكرمة بسبب التوسعات التي قامت بها حكومة السعودية خلال الفترة الماضية . وتبدو المخاوف من ان ينعكس ارتفاع الاسعار على الحجاج هذا العام حيث من المرجح ان تقر لجنة شئون الحج زيادات متفاوتة بين فئات حملات الحج بسبب اسعار السكن في مكة . وتشير الدلائل الي أن هذه الزيادات قد تصل الى ٢٠ ٪ بعد عرض الامر علي لجنة شئون الحج ومناقشته علي ارض الواقع خلال الاجتماع المرتقب.

الكويت:

وفي الكويت لوح عدد من حملات الحج بالانسحاب من موسم الحج هذا العام بسبب الاسعار المرتفعة التي فرضها مسؤولو الحج في المملكة العربية السعودية حسب قولهم.

وقالت مصادر في وزارة الاوقاف ان اصحاب الحملات طالبوا مسؤولي الوزارة بالتدخل، خصوصا ان اسعار ايجارات العمارات تعد استغلالا. وارسلت الوزارة وفدا لتفقد الاوضاع، ولاحظ الغلاء وتم تشكيل لجنة لوضع حلول ترضي الطرفين.

الجزائر:

وفي الجزائر كان لمشروع توسعة المسجد الحرام اثر في (لخبطة) أوراق لجنة الحج الجزائرية بسبب التهاب أسعار الغرف الفندقية والشقق السكنية، حيث سترتفع تكلفة العمرة والحج هذا الموسم بما يعادل ٣٠ و٤٠ بالمائة.

ويرجع ذلك الى تغييب فنادق منطقة الشامية التي أزيلت لمصلحة مشروع توسعة المسجد الحرام من الجهة الشمالية''، وهو ما يعني غياب أكثر من ٥٠ في المائة من المساحة الإجمالية للمنطقة المركزية، ما أدى إلى الارتفاع الكبير في أسعار الغرف الفندقية المجاورة للمسجد الحرام.

واشتدت المنافسة على العقار قبيل سبعة أشهر من موسم الحج، وهو ما يؤدي حتما مع اقتراب الموعد إلى تأزم الوضع وارتفاع أسعار تلك الغرف الفندقية والشقق السكنية سيستمر طويلا للخصوصية التي تتمتع بها مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأنها تعد مطلبا دائما لمعظم المسلمين في مختلف بقاع الأرض''. ولكونها تحمل هذه الاستراتيجية العقارية، فإن ارتفاع الأسعار يبقى بها، وقد يصل سعر المتر الواحد إلى المليون ريال.

وقد قامت بعض الوكالات السياحية التي اختيرت من قبل الديوان الوطني للحج والعمرة للتكفل بـ٤٠٠٠ حاج بالمضاربة في أسعار الحج حيث رفعت بعض الوكالات سعر الحاج الواحد إلى ٤٨ مليون سنتيم، وأرجع (حسان خدوش) رئيس الفيدرالية الوطنية للوكالات السياحية المضاربة في أسعار الحج وتبيانها بين

الخواص لـ(خلو دفتر الشروط من مواد واضحة تحدد سعر الحج للخواص وغياب الرقابة بشكل كامل على الوكالات السياحية في عملية تحديد هامش الربح، وهذا ما أدى إلى تلاعب بعض الوكالات بالتكاليف ورفع الأسعار)، كما وصف ذات المتحدث هذه الوكالات بـ(كل من يرفع سعر الحج إلى هذا الحد هو يتاجر في أعظم العبادات.. والجهات التي اختارت هذه الوكالات دون غيرها تتحمل مسؤولية هذه التجاوزات).وقال (شريف مناصر) رئيس النقابة الوطنية للوكالات السياحية والذي أشرف على تنظيم الحج لموسم سنة ٢٠٠٧ وامتنع هذه السنة عن التنظيم نتيجة للتجاوزات التي وصفها بالخطيرة (السنة الماضية حددنا سعر الحاج الواحد كوكالة خاصة بـ٢٦ مليون سنتيم دون احتساب الطعام والذي قدرناه بـ٤ ملايين سنتيم طيلة شهر كامل)، مضيفا (مهما ارتفعت تكلفة الحج فهذا لا يعني أن تطلب هذه الوكالات الخاصة من الحاج أن يدفع ٤٨ مليون سنتيم وبالمقابل يقيم في غرفة تبعد بكذا كيلومتر عن الحرم برفقة ٣ أشخاص). وأشار إلى ان السنة الماضية حدد دفتر الشروط أن الفائدة تقدر بـ٩٠٠٠ دج إلا أن هذه السنة وفي غياب الرقابة فإن كل وكالة هي حرة في تحديد الفائدة.

مصر:

وفي مصر أعلن نائب رئيس غرفة شركات السياحة لشئون السياحة الدينية عادل فريد ، أن أسعار رحلات الحج سوف ترتفع هذا العام إلى نحو ٤٥ ألف جنيه للحج الاقتصادي، و١٢٠ ألف جنيه للحج السياحي و٢٥ ألف جنيه للحج البري وأرجع ذلك إلى ارتفاع رسوم تأشيرات الحج وأسعار تذاكر الطيران.

فقد أدى قرار وزارة السياحة المصرية (للعام الثالث على التوالي) الى خفض عدد الحجاج المصريين والتنازل عن ١٧ الف تأشيرة من الحصة الرسمية البالغة ٧٢ الف تأشيرة إلى انفلات أسعار الحج بصفة عامة، ورحلات السياحة بصفة خاصة، حيث زادت تكاليف الحج السياحي لهذا العام الى نحو ٣,٨ الاف دولار (٢٤ الف جنيه) مقابل الفي دولار (١٢,٧ الف جنيه) قبل عامين. فيما تجاوزت تكلفة الحج السريع ٧٥٠٠ دولار (٤٧ الف جنيه). ومن المنتظر أن تزداد هذه التكلفة خلال الايام المقبلة على خلفية رفض وزارة السياحة التدخل في أسعار هذه النوعية من الحج، والاكتفاء بمراقبة التزام شركات السياحة بتنفيذ البرنامج المتفق عليه مع الحجاج مقابل هذه التكلفة. ومن جهة أخرى فان زيادة أسعار تذاكر الطيران بنحو ٢٥ في المائة وارتفاع تكلفة الاقامة والخدمات في الديار المقدسة التي تتوافق مع الشروط الموضوعة من قبل وزارة السياحة، أدت إلى زيادة أسعار الحج ٧٠٪ من جانب الشركات السياحية لبرامج تدور أسعارها بين ٣,٨ الاف دولار و٧,٥ الاف دولار على حساب البرامج الاقل التي كانت تبدأ من ٢,٥ الف دولار، وذلك من أجل تعويض انخفاض عدد التأشيرات المخصصة لها من ٢٥ الف تأشيرة إلى أقل من ٢٠ ألف تأشيرة رغم زيادة عدد الشركات التي تقدمت لتنظيم رحلات الحج، من ٦٠٠ شركة الموسم قبل الماضي إلى ٧٣٠ شركة الموسم الماضي، ثم إلى ٧٧٨ شركة في الموسم الحالي. إلى ذلك شهد العام الحالي تفاقم ظاهرة المضاربة على تأشيرات الحج الخاصة بالشركات الصغيرة البالغة نحو ١٢٢٤ تأشيرة، تخص ١٣٦ شركة بواقع ٩ تأشيرات للشركة الواحدة، حيث تجاوز سعر التأشيرة في السوق السوداء ١٢٠٠ دولار، الامر الذي عزز صعود تكلفة الحج، ودعا الخبراء إلى

المطالبة بايقاف التعامل بمقتضى النظام الحالي الذي يوزع حصة السياحة على شركات. وقال وكيل أول وزارة السياحة حسن جمال الدين إن ارتفاع قيمة رسوم الخدمات من النقل والطوافة وتذاكر الطيران التي زادت بنحو ٢٥٪ علاوة على ارتفاع تكاليف الاقامة ساهم في ارتفاع تكاليف الحج السياحي لهذا الموسم. وأوضح أن وزارة السياحة حاولت خفض تكاليف وأعباء برامج الحج السياحي من خلال الموافقة على الاندماج بين الشركات في تنظيم برامج الحج السياحي. غير أن شركات السياحة ركزت في برامجها المعروضة على الحج الفاخر، الأمر الذي كرس الارتفاع في تكلفة الحج لهذا العام . وتابع جمال الدين أن هناك تراجعا في برامج الحج البري والبحري لهذا العام مقارنة بالاعوام الماضية نظرا لارتفاع تكلفتها، فليست بامكانيات الذين يسعون لاداء الحج عن طريق البر أو البحر. ومن جهته أكد رئيس لجنة السياحة الدينية بغرفة شركات السياحة والسفر المصرية عادل فريد أن استمرار تخفيض حصة مصر من تأشيرات الحج من ٧٣ الفا الى ٥٥ الفا فقط أدى إلى زيادة الأسعار نتيجة تقلص حصص شركات السياحة من هذه التأشيرات. وتفضيل بعضها بيع حصتها لشركات أخرى باسعار كبيرة تجاوزت ١٢٠٠ دولار للتأشيرة الواحدة، إلى عامل آخر ساهم في زيادة تكلفة برامج الحج السياحي لهذا العام، وهو رفض البنوك منح الشركات السياحية قيمة التعاقدات المتعلقة بالحج مع الجانب السعودي بالريال. الأمر الذي اضطر الشركات للحصول على الريال بأسعار مرتفعة، واضافة ذلك إلى تكلفة برامج الحج المعروفة. ويرى الخبير السياحي المصري محمد عثمان رئيس مجلس إدارة شركة آركو السياحية أن ارتفاع أسعار الحج لهذا العام في حقيقته ليس كبيرا، وان ما يضخم المسألة رغم استقرار قيمة الجنيه المصري هو أن أسعار الاقامة في الديار المقدسة زادت بما يتراوح بين ٢٠٠ و ٣٠٠ ريال، بالاضافة إلى ارتفاع أسعار تذاكر الطيران، مما ساهم في زيادة احساس الحجاج بالفارق الكبير في الاسعار، كما أوضح أن أعباء شركات السياحة المتمثلة في أسعار الطيران الداخلي او وسائل النقل الأخرى بالمملكة علاوة على مصاريف الطوافة، زادت الأمر الذي ساهم في ارتفاع تكلفة أداء الفريضة. واقترح عثمان إقامة معرض سنوي لمدة اسبوعين كمشارك في شركات السياحة المختلف ببرامجها المحددة لاختيار أفضل الشركات، وأكثرها قدرة على تنظيم رحلات الحج من خلال برامج جيدة وأسعار مناسبة. وانتقد سيف الدين العماري صاحب إحدى كبرى الشركات، عضو مجلس ادارة غرفة شركات السياحة المصرية المتخصصة في رحلات الحج، موقف وزارة السياحة من الشركات غير المؤهلة التي تصر على التقدم للحصول على حصة من التأشيرات من أجل بيعها في السوق السوداء لتأشيرات الحج، واكد على ضرورة الغاء نظام الحصص الذي أصبح عقيما في ظل الانخفاض الشديد في اعداد التأشيرات الخاصة بالحج السياحي.

وأشار إلى ان نظام الاندماج الذي سمحت به وزارة السياحة فشل في تخفيض أسعار الحج، محذرا من ان اصرار الحكومة على التفريط في نحو ثلث الحصة الرسمية المصرية من تأشيرات الحج بدعوى رفض تسكين جزء من الحجاج في منطقة منى المطورة، والتمسك بشروط عدم تجاوز المسافة بين سكن الحجاج والحرمين في مكة والمدينة الف متر سوف يعزز ارتفاع الحج السياحي خلال المواسم المقبلة.

في مصر ارتفعت أسعار رحلات الحج إلى نحو ٤٥ ألف جنيه للحج الاقتصادي و١٢٠ ألف جنيه للحج السياحي

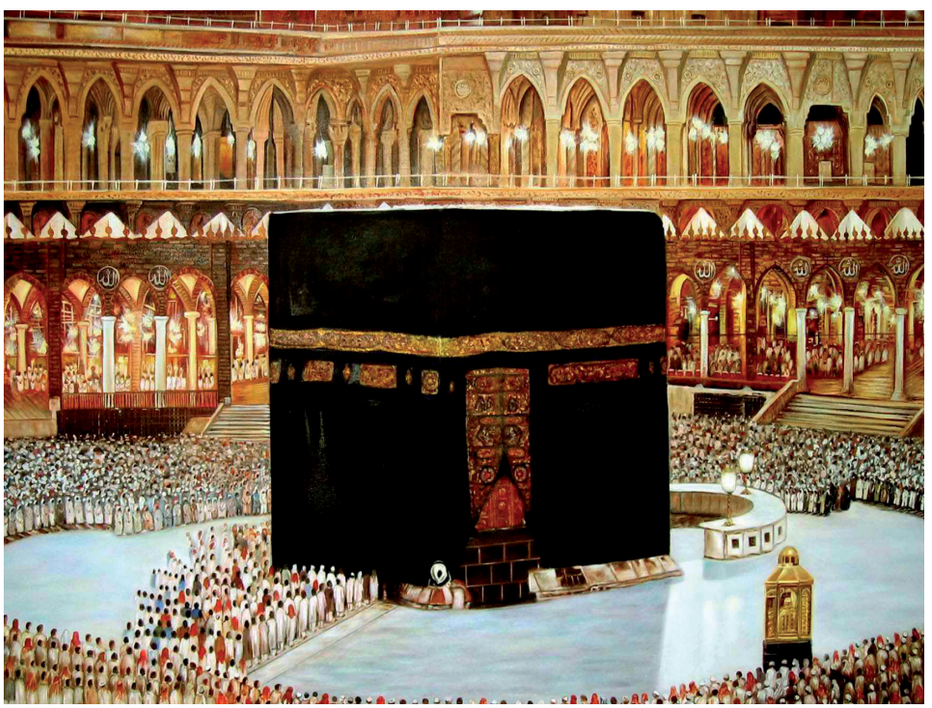

نظمي لوقا:
محمد رجل فوق كل الشبهات

ما كان محمد صلى الله عليه وسلم كآحاد الناس في خلاله ومزاياه، وهو الذي اجتمعت له آلاء الرسل عليهم السلام وهمة البطل، فكان حقًا على المنصف أن يكرم فيه المثل، ويحيّي فيه الرجل.

لا تأليه ولا شبهة تأليه في معنى النبوة الإسلامية.. وقد درجت شعوب الأرض على تأليه الملوك والأبطال والأجداد، فكان الرسل أيضًا معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين الألوهية بسبب من الأسباب، فما أقرب الناس لو تركوا لأنفسهم أن يعتقدوا في الرسول أو النبي أنه ليس بشرًا كسائر البشر، وأن له صفة من صفات الألوهية على نحو من الأنحاء. ولذا نجد توكيد هذا التنبيه متواترًا مكررًا في آيات القرآن، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ (الكهف: ١١٠)، وفي تخير كلمة (مثلكم) معنى مقصود به التسوية المطلقة، والحيلولة دون الارتفاع بفكرة النبوة أو الرسالة فوق مستوى البشرية بحال من الأحوال. بل نجد ما هو أصرح من هذا المعنى فيما جاء بسورة الشورى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ﴾ (الشورى: ٤٨). وظاهر في هذه الآية تعمد تنبيه الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم إلى حقيقة مهمته، وحدود رسالته التي كُلِّف بها، وليس له أن يعدوها، كما أنه ليس للناس أن يرفعوه فوقها.

رجل فرد هو لسان السماء. فوقه الله لا سواه. ومن تحته سائر عباد الله من المؤمنين. ولكن هذا الرجل يأبى أن يداخله من ذلك كبر. بل يشفق، بل يفرق من ذلك ويحشد نفسه كلها لحرب الزهو في سريرته، قبل أن يحاربه في سرائر تابعيه. ولو أن هذا الرسول صلى الله عليه وسلم بما أنعم من الهداية على الناس وما تم له من العزة والأيادي، وما استقام له من السلطان، اعتد بذلك كله واعتزّ، لما كان عليه جناح من أحد؛ لأنه إنما يعتد بقيمة ماثلة، ويعتز بمزية طائلة. يطريه أصحابه بالحق الذي يعلمون عنه، فيقول لهم: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله. ويخرج على جماعة من أصحابه فينهضون تعظيمًا له، فينهاهم عن ذلك قائلاً: لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا.

ماذا بقي من مزعم لزاعم؟ إيمان امتحنه البلاء طويلاً قبل أن يفاء عليه بالنصر وما كان النصر متوقعًا أو شبه متوقع لذلك الداعي إلى الله في عاصمة الأوثان والأزلام.. ونزاهة ترتفع فوق المنافع، وسمو يتعفف عن بهارج الحياة، وسماحة لا يداخلها زهو أو استطالة بسلطان مطاع. لم يفد. ولم يورث إله، ولم يجعل لذريته وعشيرته ميزة من ميزات الدنيا ونعيمها وسلطانها. وحرم على نفسه ما أحلّ لآحاد الناس من أتباعه، وألغى ما كان لقبيلته من تقدم على الناس في الجاهلية حتى جعل العبدان والأحابيش سواسية وملوك قريش. لم يمكن لنفسه ولا لذويه. وكانت لذويه بحكم الجاهلية صدارة غير مدفوعة، فسوّى ذلك كله بالأرض. أي قامة بعد هذا تنهض على قدمين لتطاول هذا المجد الشاهق أو تدافع هذا الصدق الصادق؟ لا خيرة في الأمر، ما نطق هذا الرسول عن الهوى.. وما ضلّ وما غوى.. وما صدق بشر إن لم يكن هذا الرسول بالصادق الأمين.

أي الناس أولى بنفي الكيد عن سيرته من (أبي القاسم) صلى الله عليه وسلم الذي حول الملايين من عبادة الأصنام الموبقة إلى عبادة الله رب العالمين، ومن الضياع والانحلال إلى السموّ والإيمان، ولم يفد من جهاده لشخصه أو آله شيئًا مما يقتتل عليه طلاب الدنيا من زخارف الحطام.

كان محمد صلى الله عليه وسلم يملك حيويته ولا تملكه حيويته. ويستخدم وظائفه ولا تستخدمه وظائفه. فهي قوة له تحسب في مزاياه، وليست ضعفًا يُعَدّ في نقائصه. لم يكن صلى الله عليه وسلم معطل النوازع، ولكنها لم تكن نوازع تعصف به؛ لأنه يسخرها في كيانه في المستوى الذي يكرم به الإنسان حين يطلب ما هو جميل وجليل في الصورة الجميلة الجليلة التي لا تهدر من قدره، بل تضاعف من تساميه وعفته وطهره. وبيان ذلك في أمر بنائه بزوجاته رضي الله عنهن.

د. نظمي لوقا Dr. N. Luka مسيحي من مصر. يتميز بنظرته الموضوعية وإخلاصه العميق للحق. ورغم إلحاح أبويه على تنشئته على المسيحية منذ كان صبياً، فإنه كثيراً ما كان يحضر مجال شيوخ المسلمين ويستمع بشغف إلى كتاب الله وسيرة الرسول عليه السلام. بل إنه حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز العاشرة من عمره. ألف عدداً من الكتب أبرزها (محمد الرسالة والرسول)، و(محمد في حياته الخاصة).

من كتاب:
محمد الرسالة والرسول، وكتاب محمد في حياته الخاصة.

ظاهرة بلجيكية إسلامية جون فرنسوا باستان

باستان يطالب ... مساواة المسلمين بغيرهم

بروكسل - محمد صلاح

من لا يعرف (جون فرنسوا باستان) في بلجيكا؟! فالرجل المعتنق للإسلام منذ أربعين عاما، وبلحيته الطويلة المخضبة بالحناء، والذي دخل الانتخابات المحلية بحزب (شباب مسلمي بلجيكا) قبل عامين وحصد خمسة آلاف صوت، أصبح بلا منازع أحد رموز (الإسلام البلجيكي).

بل إن الرجل بتجربته الطويلة أصبح (ظاهرة بلجيكية) كثيرا ما تثير الجدل بآرائها الداعية إلى (المساواة الكاملة بين المسلمين وغيرهم)، ودعوة بلجيكا إلى (الاندماج مع الإسلام) وأخذ زمام المبادرة في فرض الوجود الإسلامي ببلجيكا دون خوف وعقدة النقص التي يسميها باستان (بعقدة الاستعمار التي تسكن البلجيكيين من أصول مهاجرة).

وفي بيته الذي حول جزءا منه إلى مقر لحزبه الناشئ في بروكسل تحدث باستان عن قصة اعتناقه للإسلام ورؤيته لوضع الإسلام في بلجيكا:

من هو جون فرنسوا باستان؟

هو اسمي قبل اعتناقي الإسلام، والآن اسمي عبد الله، وعندما يسألني الناس عن اسمي قبل الإسلام أقول لهم (لم أعد أتذكر).

وعندما فكرت في دخول الانتخابات في بلجيكا استعدت اسمي الأصلي على اللافتات الانتخابية كي أقول للناس: (إني جون فرنسوا باستان) والآن أصبحت عبد الله.

وقصة تسميتي عبد الله تعود لما قبل دخولي الإسلام فعليا، إذ يعود الفضل إلى طفل مغربي بمراكش جاء يخاطبني قائلا: (أنت عبد الله.. أنت عبد الله..)، ولهذا اخترت اسم عبد الله بعد اعتناقي للإسلام.

لم أغير اسمي فقط، بل غيرت حياتي وعقليتي كليا، وعدت إلى والدي في بلجيكا، وقلت لهم إني أصبحت اليوم عبد الله، وأصبحت أقيم صلواتي، ولم أعد آكل نفس الأكل الذي تأكلونه، ولا يعني هذا تنكري لحياتي قبل الإسلام.

الأمر كان يتعلق بـ(أنا) آخر غير (أنا) الحاضر، وحاليا أنا الأقرب للشباب من أجل دعوتهم إلى الإسلام، وأقول لهم بما أني نجحت في الانتقال إلى الإسلام، فستنجحون، فإذا كنت مثل الكثيرين في الظلام وفي المخدرات وفي المسكرات وكل مظاهر الحياة الإباحية، فما دمت قد نجحت في تغيير حياتي، فرسالتي لهؤلاء الشباب هي أنهم قادرون على القيام بالأمر نفسه.

حدثنا عن المنعرج الحقيقي الذي قادك إلى الإسلام.

كنا في ستينيات القرن الماضي نسافر إلى مدينة مراكش المغربية، خلال موجة (شباب الهيبي)، للبحث عن مخدر الحشيش، وكان عمري حينها ٢٦ سنة.

في الحقيقة لم أكن أذهب من أجل الحشيش، ولكن رحلتي كانت للبحث عن الروحانيات، ولم أكن أتوقع أن ألتقي الإسلام، ولكني كنت مقتنعا بأني سأجد شيئا يناسبني في حال قطعت الروابط مع حياة البذخ التي تعيشها عائلتي (البورجوازية) حيث كان أبي أستاذا جامعيا، ولم يكن همي أن أعمل وأن أكسب المال.

أردت أن أبحث عن الحقيقة، وكنت أمارس الرسم من هذا المنطلق؛ أي بحثا عن الحقيقة، وبحثت عن الحقيقة في المخدرات، وفي كل ما هو هامشي.

بعدها مباشرة عدت للمغرب وبان لي بأنه إذا كانت المسيحية فشلت في إعطائي الحقيقة فإن الغرب كله بما يملكه من حضارة لا يمكن أن يقدم لي جوابا عن أسئلتي. والغرب في ذلك الوقت أي قبل أربعين سنة كان بالنسبة لي عالما آخر أي الانتقال من أوروبا إلى الشرق.

عندما وصلت طنجة أصابتني الدهشة؛ لأن الرهبان الذين تركتهم في (الدير) كانوا يلبسون الجلباب بالبرنوس الذي

أخذ باستان زمام المبادرة في فرض الوجود الإسلامي ببلجيكا دون خوف وعقدة النقص

يغطي الرأس وكانوا ملتحين، وهو نفس مظهر سكان طنجة لكنهم ليسوا في (دير) مغلق، ويقيمون صلاتهم يوميا ويعملون كذلك ومتزوجون ويعيشون حياتهم.

في الحقيقة وجدت في طنجة (ديرا كبيرا) مفتوحا على الحياة، وهذا هو جوهر مشكلتي مع المسيحية، فعندما كنت صغيرا كان لدى حلمان وهما أن أصبح (طبيبا) و(راهبا)، ولهذا سخر مني الناس، وأولهم أمي التي قالت إما أن تصبح طبيبا وأما أن تصبح راهبا.

في طنجة عشت مع الفقراء والمهمشين وأعجبت بتضامن المسلمين، ولم أعتنق الإسلام لحضوري درسا دينيا أو قراءة القرآن، بل بعد معايشتي المسلمين في ساحة جامع (الفنا) بمراكش.

اقتربت من الإسلام عبر مجتمع الفقراء، وأتذكر ليلة كنت في مقهى بمراكش وإذا بفقير ذي ملابس رثة حافي القدمين يخاطبنا باللهجة المغربية: (كل شيء كاين)، أي (كل شيء موجود)، وصدمت بقوله هذا وأنا الأوروبي القادم من قلب العالم الغربي المادي، وابن عائلة بورجوازية تملك تقريبا كل شيء، فكنت أعتقد أننا في عالم (فيه كل شيء مادي، غير أنه فارغ من المحتوى).. لكن مثل هذه الأمثلة قربتني إلى الإسلام.

ولكن ما هي اللحظة الحاسمة في قرارك اعتناق الإسلام؟

ذات يوم كنت أتجول في ساحة (الفنا) عندما عثرت على كتيب بالفرنسية عنوانه (ما هو الإسلام؟)، للعالم الباكستاني الشهير أبو الأعلى المودودي، ووجدت في الكتاب جملة تقول: (الإسلام هو دين لكل الناس).

هذه الجملة كسرت الحاجز بيني وبين المغاربة من حولي، واقتنعت بأن الإسلام دين للجميع، وليس للمغاربة فقط أو العرب. عندها اقتنعت باعتناق الإسلام.

الآن وبعد أربعين سنة من اعتناقك للإسلام كيف ترى الواقع البلجيكي؟

بلدي هو الإسلام، فأنا مسلم وبلدي هو كل البلدان الإسلامية مثلما كان الشيخ محمد عبده يجول في كل مكان.

وللعودة إلى سؤالك سأعود إلى قصة اعتناقي للإسلام، فعندما قررت السفر إلى المغرب، واعتناق الإسلام فإن بلجيكا والغرب كله بالنسبة لي قد انتهى. في هذا الوقت كنت أبعث بعض الرسائل لوالدي لأخبره بأنني بخير، وهذا هو الأمر الوحيد الذي يربطني به.

وبسبب انتهاء مدة صلاحية أوراق إقامتي تم ترحيلي من المغرب، فعدت إلى بلجيكا لأدرس اللغة الفرنسية، ثم عدت إلى المغرب قبل أن يرحلوني مجددا، لكن في هذه المرة كنت قد اعتنقت الإسلام، ووجدت نفسي في سبتة بشمال المغرب، وكان همي الوحيد هو العودة إلى المغرب.. للبلد الذي مَنحَني هويتي الإسلامية.

لكن الله لم يشأ، فتم ترحيلي لمدريد، وهناك التقيت مهاجرين مغاربة فقراء، وقدمت لهم نفسي كمسلم، ولأول مرة نطقت الشهادتين.

ثم عدت إلى بلجيكا، وتزوجت، وأيقنت أن قدري هو أن أعيش إسلامي في بلدي الأصلي، والتقيت والدَي اللذين كانا فرحين بتوقفي عن تعاطي المخدرات، وغيرها من التغيرات، وخاطبتني والدتي قائلة: (من الواضح أن الإسلام دين جيد).

لكنك الآن لست مجرد معتنق عادي للإسلام، إذ تقوم بدور سياسي واجتماعي مهم؟

قضيت ثلاثين عاما من إسلامي للتعرف أكثر على الإسلام، وسافرت بعد طردي من المغرب إلى باكستان ثم تركيا، حيث تزوجت تركية وعملت كسائق أجرة لكسب عيشي، وعملت سياسيا مع حزب (الرفاه) الإسلامي مع الداعية والسياسي التركي البارز نجم الدين أربكان، وكان الأتراك يقدمونني كمثال للمسلم القادم من بعيد.

سافرت بعدها للعديد من البلدان العربية والإسلامية وخالطت المسلمين، ورصت حقائق الفرق بين الإسلام والمسلمين، وهو ما أفادني في اتخاذ قرار العودة إلى بلجيكا لإنجاز شيء ما.

وبعد العودة لاحظت أن المسلمين يعيشون في شبه (جيتو)، ولا ينفتحون على محيطهم البلجيكي، وكانوا يعيشون إسلامهم في المساجد والجمعيات الخاصة، فقلت لهم يجب أن ننفتح على واقعنا وأن نعيشه، فقد تعلمت من صديقي (أربكان) كيفية الانفتاح على المجتمع وتعريفه بالإسلام، وهذا ما عزمت على فعله.

قررت مخاطبة البلجيكيين قائلا لهم إنني مسلم بخلاف المسلمين المهاجرين الذين لا يحاولون الظهور ويعملون بطرق أشبه بالسرية.

وبرغم أن بعضهم يحمل الجنسية البلجيكية، فإنهم يعيشون بمنطق الطبقة التحتية وعقدة النقص، باعتبارهم مهاجرين وأبناء مهاجرين يجب أن يصمتوا.. الآن أقول لهم: (أنتم مسلمون وأنتم بلجيكيون.. ارفعوا رءوسكم).

وفي عام ٢٠٠٢ أسست حزب (شباب مسلمي بلجيكا)، ودخلت الانتخابات المحلية بوصفي رئيسا للحزب بهدف إيجاد بلجيكيين مسلمين لا يخجلون من إسلامهم، وقادرين على حل مشاكلهم بأنفسهم.

وبرغم علاقتي الطيبة بمعظم الجاليات، فإن حالة الخوف مني ومن الأفكار التي أطرحها جعلت العديد من الجمعيات المسلمة تدعو الشباب إلى الابتعاد عني. واستغلت بعض وسائل الإعلام والسلطات هذا الخوف لتروج أنني أريد تطبيق الشريعة، وإذا ما وصلت للحكم فسأقطع الرءوس، وهذا غير صحيح، ويندرج في إطار حملة التشويه لصورتي.

ماذا تريد تحقيقه في بلجيكا؟

أريد المساواة التامة بين المسلمين وبين غير المسلمين في كل شيء، فإذا كان من حق المسيحيين أن يقرعوا الأجراس في كنائسهم، فمن حقنا كمواطنين أن نرفع الأذان في مساجدنا.

لكن تحول الأمر إلى القول بأنني أمثل (الإسلام الراديكالي).

إذا كانت الراديكالية تعني أني متمسك بإسلامي وحقوقي، فأنا راديكالي، ولكن دون أن أتعدى على حقوق الآخرين، ودون فرض لمعتقداتي عليهم، فأنا ضد الشذوذ الجنسي مثلا، ولكني أكتفي بالنصيحة، وأنا لا آكل لحم الخنزير.

وأي إسلام تريده في بلجيكا؟

أريد الإسلام المضمون لي دستوريا طبقا لحرية المعتقد، مع قناعتي بأنني لا أستطيع أن أعيش إسلامي كما يعيشه المسلمون بالجزائر أو مصر أو تركيا مثلا، فالإسلام ضيف جديد على بلجيكا، ونحن حديثو عهد به، وهدفنا هو التعريف بالإسلام، فدوري ليس فرض الإسلام، وإن شاء الله يوما ما سيمكننا ممارسة الإسلام في بلجيكا كما إخواننا في العالم الإسلامي.

ولكن عندما تقول إن الإسلام ضيف جديد على بلجيكا فإنك تعود من حيث لا تدري إلى العقلية الدونية الاستعمارية؟

لا أبدا، يجب أن نفهم أننا في هذه البلاد كمسلمين مبعدون عن مناصب صنع القرار، وما أريده هو أن يعطونا حقنا في ممارسة إسلامنا، ولو بنسبة محدودة حاليا، وهذا غير متاح، فهم يردوننا أن نصمت، لكننا لن نصمت.

سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك:
منظمة المرأة العربية قادرة على مواكبة المتغيرات العالمية

حوار - محمد توفيق - فاطمة أربابي

عقدت منظمة المرأة العربية في الفترة الأخيرة مؤتمرها السنوي بأبوظبي تحت رعاية سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك رئيسة الاتحاد النسائي رئيسة منظمة المرأة العربية وانتهزنا هذه الفرصة الثمينة لاجراء هذا الحوار المهم مع سمو الشيخة فاطمة عن القضايا التي يناقشها هذا المؤتمر وكان هذا الحوار المهم .

سمو الشيخة فاطمة: هل ترون أن منظمة المرأة العربية قادرة على مواكبة المتغيرات العالمية الخاصة بعمل المرأة وتعليمها ودخولها إلى العمل السياسي والاقتصادي والإعلامي والاجتماعي؟.

نعم فقد حققت منظمة المرأة العربية منذ تأسيسها وحتى الآن نتائج إيجابية على صعيد خدمة المرأة العربية وقضاياها ويأتي نجاح هذه المنظمة الرائدة بفضل دعم أعضائها وتعاونهم من أجل النهوض بالمرأة العربية التي تكافح منذ سنوات طويلة للتغلب على الفقر والتخلف والجهل الذي كان مخيما على معظم المجتمعات العربية. وأنا شخصيا أرى أن منتدى المرأة والإعلام والاحتفالات بيوم المرأة العربية التي أقيمت بأبوظبي في العام ٢٠٠٢ كانت بمثابة الميلاد الحقيقي لمنظمة المرأة العربية التي وضعت بذرتها الأولى في القمة الاستثنائية بالقاهرة في نوفمبر ٢٠٠١.

ولاشك أن هذا التواجد النسائي الكبير في قمة أبوظبي سوف يعكس اهتمام منظمة المرأة العربية بواقع المرأة ومواصلة بحث ودراسة الظواهر المختلفة التي تعوق مسيرة المرأة العربية خاصة وأن القضايا التي تناقشها قمة أبوظبي ليست ذات أهمية بالنسبة للمرأة فحسب بل إن لها تأثيرات مختلفة على كل أفراد المجتمع ومن ثم فإن الأفكار والدراسات والبحوث الجادة والواعية سوف تكون منطلقا لتصحيح الكثير من المفاهيم المغلوطة والنمطية عن المرأة.

كيف تنظرون سمو الشيخة فاطمة إلى مشروع الإستراتيجية الإعلامية للمرأة العربية المقرر تبنيه في قمة أبوظبي وهل تعتقدون بضرورة تبني توجه عربي واضح المعالم ومحدد بأطر زمنية واضحة من أجل تقديم صورة متوازنة وإنسانية للمرأة في المجتمع وتمكين المرأة من المشاركة في العمل الإعلامي؟.

تحظى هذه الإستراتيجية باهتمامنا الكبير ونعتقد بأنه قد آن الأوان لتبنيها لكي تقوم منظمة المرأة العربية بدورها في تنفيذ مشروع الإستراتيجية الإعلامية للمرأة العربية تفعيلا لتوصيات كل من منتدى المرأة والإعلام الذي عقد في أبوظبي في العام ٢٠٠٢ تحت رعايتنا والذي أكد أهمية وجود إستراتيجية إعلامية عربية للمرأة العربية وتوصيات المؤتمر الأول للمنظمة الذي عقد تحت عنوان (ست سنوات بعد القمة الأولى للمرأة العربية.. الانجازات والتحديات) في مملكة البحرين والذي عقد في نوفمبر ٢٠٠٦ وتضمنت توصياته ضرورة تبني توجه عربي واضح المعالم ومحدد بأطر زمنية واضحة من أجل تقديم صورة متوازنة وإنسانية للمرأة في المجتمع وتمكين المرأة من المشاركة في العمل الإعلامي بحضور مؤثر وبفعالية مطلقة.

سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك أبديتم اهتماما كبيرا على مدى السنوات الماضية بقضية المرأة العربية والإعلام بدءا من رعايتكم لمنتدى المرأة والإعلام في العام ٢٠٠٢م وتبنيكم لمشروع الإستراتيجية الإعلامية للمرأة العربية التي تسعى المنظمة لإطلاقه على هامش مؤتمرها الثاني تحت عنوان (المرأة في مفهوم وقضايا أمن الإنسان).
المنظور العربي والدولي برئاستكم.. هل أنتم راضون عن النتائج التي تحققت حتى الآن على هذا الصعيد وما هي تطلعاتكم للمستقبل.

من منطلق اهتمامنا الدائم بقضية المرأة العربية والإعلام بدءا من رعايتنا لمنتدى المرأة والإعلام في العام ٢٠٠٢م. فإننا نأمل أن يتم تبني مشروع الإستراتيجية الإعلامية للمرأة العربية الذي أطلقته منظمتنا على هامش مؤتمرها الثاني.

نحن بصراحة مطالبون كقيادات نسائية عربية بإقرار هذه الإستراتيجية التي تضمنت مجموعة أهداف مترجمة في صورة مشروعات تخص رفع كفاءة الإعلام العربي في معالجته لقضايا المرأة ودعم الرسالة الإعلامية الموجهة للمجتمع عن المرأة العربية بكل فئاتها والقيام بالتنسيق فيما بين الجهات الإعلامية وفيما بينها وبين كل من الجهات الأكاديمية والحكومات والمجتمع المدني والقطاع الخاص من أجل دعم المحتوى الإعلامي حول واقع وصورة وقضايا المرأة العربية.

وتتوزع هذه الأهداف التي تتضمنها الإستراتيجية على سبعة مجالات تمثل الجوانب المختلفة لحياة المرأة العربية وهي مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والتعليم والصحة والبيئة والرياضة.

نبيل لوقا مفكر مسيحي يدافع عن الإسلام ونبيه

حوار - عصام أبو الدهب

دبي مدينة ترمز للتعايش السلمي بين مختلف الأديان والثقافات

في جلسته عراقة الكاتب المصري القديم، ملامحه تعبر عن السكون الهادر الممتد على ربوع النيل، وفي نبرات صوته هدوء التاريخ، وفي منطقه حجة المنطق، وفي حجته قوة المنطق، ضابط شرطة وباحث وأكاديمي، مسيحي قبطي بالعقل والتفكير، مصري مسلم بالشعور والوجدان، إنه الدكتور اللواء نبيل لوقا بباوي، ولد بقرية بهجور بمحافظة قنا بأقصى صعيد مصر، عام ١٩٤٤م، تخرج في كلية الشرطة عام ١٩٦٦، حصل على عدة شهادات في الدكتوراه، إحداهما في الاقتصاد والأخرى في القانون. وأخرى في الشريعة الإسلامية أشرف عليها الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف، عمل أستاذا للقانون في كلية الشرطة، له العديد من المؤلفات في الشؤون المسيحية والإسلامية والاقتصادية والأمنية منها: (الوحدة الوطنية.. نموذج طنطاوي وشنودة) والوحدة الوطنية ومأساة التعصب ومشاكل الأقباط في مصر وخطورة مناقشة العقائد في الإسلام والمسيحية، ومحمد الرسول صلى الله عليه وسلم وادعاءات المفترين وانتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء والإرهاب ليس صناعة إسلامية وزوجات الرسول والحقيقة والافتراء في سيرتهن والجزية على غير المسلمين.. عقوبة أم ضريبة كما نال جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية التي رشحه لها مجمع البحوث الإسلامية، تقديرا لكتاباته التي أنصف فيها الإسلام، وفند آراء المستشرقين، وهي أول مرة يرشح فيها مجمع البحوث شخصية مسيحية منذ إنشائه.

في هذا العدد تحاوره مجلة الضياء حول بعض القضايا حول التعايش السملي بين الديانات، وكيف يمكن للعالم الإسلامي أن يتعامل مع قضايا التطرف والعنف والتشويه المتعمد للرموز الإسلامية.

بداية ما الذي جعلك تتوجه إلى الدفاع عن الإسلام ونبي الإسلام بهذا الشكل الذي وصل إلى أكثر من عشرين كتابا؟

قبل أي يجب أن ندرك أن الدفاع عن محمد هو دفاع عن المسيح والمسيحية، لقد تعايش الدينان على مدى قرابة (١٥) قرنا من الزمن، تعرفنا على الإسلام وعلى المسلمين وأدركنا حجم نقاط الالتقاء بيننا ومحدودية الاختلاف كما قدرنا كم يحترم الإسلام والمسلمون المسيح رغم اختلافنا في الاعتقاد حوله، كل ذلك وغيره من العوامل يجعل من دافعنا عن الإسلام ومحمد بالأخص دفاع عنا على المستوى الثقافي والعقائدي وكذا على المستوى الأمني والاستقرار، هذا إضافة إلى أنني منذ بداية الدراسة في كلية الشرطة قد ارتبطت بقراءة الإسلام وشريعته، وتوصلت إلى حقائق مذهلة عرضتها في كتبي ومحاضراتي والندوات التي كنت أشارك بها، والحمد لله نجد أن هناك طبقة واسعة من المسلمين والمسحيين بدأت تستوعب الحقائق الموضوعية، أما المغرضون والمتعصبون فهم إلى انحسار بفضل جهود التوعية واللقاءات المتبادلة.

هل تعتقد أن الديانات السماوية لديها أسس يمكن أن تتحاور من خلالها في ظل الاتهامات المتبادلة وإقصاء الآخر وإلغائه؟

قبل أي شيء لا بد لنا أن نقر أن الله تعالى أنزل ديانات ثلاث؛ ويستحيل عمليا أن يتوحد هؤلاء، ونتيجة للفهم الخاطئ في محاولة إجبار الآخر على الالتزام بالدين أو الملة أو المذهب الذي يؤمن به حدثت حروب طاحنة، فبين ملل المسيحية الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت قتل أكثر من ٢٧ مليونا، وبين السنة والشيعة قتل أكثر من ١٢ مليونا كل هذه الأرقام والمجازر وأنهار الدماء نتيجة التصورات الخاطئة التي تملي على المتعصبين أن يجبروا الآخرين على اعتناق ما يؤمنون به.

والديانات لا تدعو إلى ذلك بل تدعو إلى السلام والتآلف والحب، فحجر الزاوية في الإسلام هو السلام، ففي القرآن : " وإن جنحوا للسلم فاجنح لها." وكذا المسيحية حيث فقد ورد في إنجيل لوقا إصحاح ٢ : (المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام). كما ورد في إنجيل لوقا أيضا إصحاح ١٠ : (وأي بيت دخلتموه فقولوا سلام لأهل البيت فإن كان ابنا للسلام يحل سلامكم عليه). معنى هذا أن هناك تكليف من الله ذاته لاتباع الديانات السماوية أن يعيشوا في سلام.

كما أن الديانات لا تدعو أبدا إلى أن يكون على عقيدة واحدة بل على العكس، وما جاء به القرآن واضح جدا : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة)، وأظن أم الحكمة من ذلك هو أن يتنافس الناس في عبادة ربهم بالطريقة والكيفية التي يرونها مناسبة لهم، وهو الذي سوف يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون: (إن الله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون). فالمحاسب هو الله، وعلى كل منا أن يمارس عبادته كيف شاء وبأي وسيلة شاء انطلاقا من قوله تعالى في القرآن : (لكم دينكم ولي ديني)، وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم خير دليل على ذلك : (من آذى ذميا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله).

كيف يمكن التعامل مع ظاهرة الاختلاف، وما هو الاساس الذي ترتكز عليه رؤيتك في قضية الحوار بين الديانات؟

أنا على قناعة مطلقة أن يجمعنا أكثر بكثير مما يفرقنا، فأن المتفق عليه بين الديانات بعد دراسة عميقة لمختلف الأديان يبلغ أكثر من (٩٩٪) من المحبة والتعاون والتآخي والعدل والرأفة والرحمة وغيرها، أما المختلف فيه فهو على أقصى تقدير لا يتجاوز بأي حال من الأحوال (١٪) فقط، ولا يمكن بحال مهما بلغ الحوار مداه من الشفافية والاتزان أن يصل إلى أن يتناول المسلم عن عقيدته أو المسيحي عن عقيدته، لذلك نحن نقول أنه يجب أن نتعاون في المتفق عليه، وأن يترك لكل مؤمن أن يمارس إيمانه بالشكل الذي يناسب عقيدته، وقد ورد في السيرة النبوية الشريفة أن وفد نجران وهم مسيحيون عندما جاءوا إلى النبي وحان وقت الصلاة صلوا أمامه وقالوا ما يعتقدون ولم يردعهم أو حتى ينصحهم، والإسلام دين انفتاح وحرية، وكذلك المسيحية، الأديان بريئة من التعصب والعنف.

هناك نوع من الخطاب الديني الذي يدفع نحو العداوة والتطرف والعنف، ما وجهة نظركم في ذلك، وكيف يمكن التعاطي معها؟

التعصب موجود في كل شيء ولكن تجفيف منابعه ومصادره مطلوب، لذلك لابد من إبعاد أصحاب الفكر المتطرف عن الحياة العامة سواء أكانوا مشايخ أم قساوسة، ومن خلال تعاملي مع هذه الفئة والتصاقي بها تبين أن تعصبها وخطابها المتشنج سببه إما الجهل المفرط أو البحث عن مصدر رزق بالتقاء الناس عليه، أو بتعبيرنا المصري (سبوبة) من خلال المزايدة على الدين، وهذا يتنافى تماما مع أصول الأديان التي تدعو إلى الرحمة والجدل بالتي هي أحسن.

لذا على المسؤولين وأصحاب القرار أبعاد هؤلاء عن أماكن التوجيه والإرشاد سواء أكان منبرا دينيا أو إعلاميا، إنهم يشوهون الإسلام والمسيحية معا، وأدلة الصريحة والصحيحة تدل على أن هناك موروث ثقافي متأصل في كيان المتدنين الطبيعيين الذي لم يتلوثوا بالتعصب والعنف يقوم على مبدأ الدين المعاملة، أي دينك هو ما تعاملني به وليس ما تعتقد أو ما تتصور، فإن كانت معاملتك جيدة فدينك جيد والعكس بالعكس، المعاملة هي الدعامة الرئيسة للدعوة في أي دين كان، وهذه حقيقة مطلقة لا المناظرات ولا الحروب ولا القتال ولا غيره.

وخطورة التعصب إذا أصبح حالة أنها تخلق أجيالا ترفض قبول الآخر وتشكك في أهليته حتى في الوجود ومن ثم يبدأ الصراع الذي يؤدي حتما إلى ممارسة العنف والقتال الطائفي والملي، وطوق النجاة من ذلك كله هو الوطنية أي أن نتشارك في الوطن، وخير تطبيق على ذلك هو ما فعله النبي محمد في

تأسيس مركز قانوني في الغرب لرصد وجمع كل الإساءات التي تنشر واتخاذ الإجراءات القانونية لإسكات الأبواق الكاذبة والجاهلة

المدينة، وهي النموذج المعتدل الذي أعطى للجميع حقه في الحياة وممارسة شعائره وعبادته دون ظلم أو حيف.

كما يجب أن ندرك أن المدخل الرئيسي لزعزعة الحكم والاستقرار هو بإثارة الفتن والقلاقل والاضطراب الداخلي بحيث تنشغل الدولة بهذا عن أهدافها العليا وأمنها القومي وتدخل في دائرة لا تنتهي من المشاكل الداخلية التي لا وجود لها في الأصل.

على المستوى العالمي، يستشعر بعض المسلمين والباحثين والمراقبين أن هناك حملة ما لتشويه صورة الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – باسم حرية التعبير، كيف ترى هذا الأمر؟

التعرض بالغمز واللمز للرسول محمد عليه السلام لا علاقة له بحرية التعبير، إذ أن – وهنا أنا أتحدث كقانوني – حرية التعبير مبدأ عالمي ولكن في حدود ألا تسيء إلى الآخرين، وما حدث ويحدث وسيحدث إنما يدخل في إطار ما نطلق في قانون العقوبات (ازدراء الأديان) وهي موجودة في كل القوانين، وأي إنسان أو جهة أو دولة نالها أحد ومس أحد رموزها الدينية من حقه أن يرفع دعوى على الشخص والجهات التي ساعدته ومولته ودعمته، وحقه هنا مضمون، لذلك أنا دعوت في كتابي (الرسوم المسيئة للرسول) أن تقوم الدول الإسلامية بتأسيس مؤسسة أو مركز قانوني في أحد الدول الغربية حتى يمتاز بالحيادية مهمته مراقبة ومتابعة كل ينشر أو يكتب للإساءة إلى أي من الرموز الدينية ليس فقط للنبي محمد بل لكل رموزنا الدينية، والتي هي جزء أصيل من الإسلام، ومقاضاته قانونيا، وبهذه الوسيلة يمكن إسكات كل الأبواق الكاذبة والمدعية والجاهلة.

والحقيقة أنه من خلال متابعتي المستمرة وجدت أن كل من يسئ إلى محمد صلى الله عليه وسلم إما مريض نفسي أو أنه على اتصال بأحد الجهات التي تعطيه مالا ليقول ما يقول، وهو يحقق بكلامه الفارغ أموالا طائلة وأرباحا كبيرة.

وهذا أفضل كثير من الممارسات الغاضبة والمهيجة للمشاعر دون جدوى تذكر على المستوى العالمي، على العكس من ذلك يأخذها الإعلام الغربي ويسئ تفسيرها ويعيدها صياغتها إعلاميا ليجعل منها مادة خصبة لإقناع متابعيه أن هذا هو الإسلام خبط وحرق وانفعال وتدمير، وهو ما يصب أبدا في مصلحة الإسلام على المستوى العالمي.

الإسلام متهم بصناعة الإرهاب والعنف؛ كيف ترى ذلك؛ وهل ثمة رد منطقي وعملي على ذلك؟

بداية أقول بكل وضوح ويقين أن (الإرهاب صناعة غير إسلامية)، وهو عنوان كتاب ألفته حول هذه القضية، وصدر في حدود (٣٠٠) صفحة، وهو يتعرض بموضوعية لظاهرة الإرهاب العالمية التي انتشرت في كل مكان على الكرة الأرضية والتي ألصقت بالإسلام ظلماً وعدواناً، في محاولة لتفكيك وتوضيح وبيان أسبابها الحقيقية ولماذا وجهت إلى الإسلام، والذي خلصت إليه أن هناك حملة منظمة موجهة إلى الإسلام كدين لتشويهه وتحريفه وإبعاد الناس عنه، لاسيما من المستشرقين والوسائل الإعلامية الممولة من جهات قامت لهذا الغرض بذاته بهدف إلصاق تهمة التعصب وعدم التسامح والتكفير والعنف وعدم قبول الآخر وغير إلى المسلمين وبالتالي وجوب محاربتهم والتضييق عليهم.

وهم قد استغلوا في بناء آرائهم بعض الفتاوى التي أطلقها البعض في زمن ضاق فيه الأفق، وأفصح عنها بعض عناصر جماعات العنف الذين ينسبون أنفسهم إلي الإسلام، لكن صحيح الدين الإسلامي منهم بريء كما قرأت الإسلام وفهمته وفهمه علماؤه المتميزون، كما أن تصرفاتهم لا يقرها القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة، لذلك أدعي المستشرقون أن الإرهاب صناعة إسلامية، وأن الإرهاب خرج من رحم الإسلام وقد روج البعض وعلي رأسهم (صموئيل هيمنتغتون) في كتابه (صراع الحضارات) أن الإسلام هو العدو الأول للحضارة الغربية بعد انهيار العدو التقليدي للغرب وهو الاتحاد السوفيتي، كل ذلك بهدف خلق المناعة الذاتية للغرب للبقاء ضد عدو متوهم.

في دبي انطلقت حملة (رحمة للعالمين العالمية) التي هدفت إلى بناء رؤية ثقافية ومعرفية للتعايش السلمي بين الشعوب؛ ما رأيك فيها، وهل ترى أنها تسهم في تجسير العلاقة بين الشرق والغرب؟

بداية؛ أحب أن أتوجه بخالص التقدير إلى مدينة دبي التي تعد نموذجا فريدا في التعايش السلمي بين الشعوب، وأنا هنا أتكلم كرجل أمن في الأساس من خلال عملي ضابط شرطة، وقد لامست هذا جليا وواضحا، فعدد الجنسيات التي تعيش هنا كبير جدا، ولهم ثقافات وآراء دينية وأفكار مختلفة ومتنوعة، ولكن رغم ذلك الكل يعيش في سلام ووئام ويعين بعضهم البعض، لا يسخر أحد من أحد ولا يحجر أحد على حق أحد في ممارسته لعبادته.

أما بالنسبة للحملة المشار إليها فلا شك أنها تمثل خطوة هامة جدا على طريق التلاقي بين الديانات من خلال رسم صورة صحيحة للنبي صلى الله عليه وسلم، وإزالة الأفكار السلبية التي رُوجت عليه، وهي سبب كبير لتوتر العلاقة، لذلك يقع واجب كبير على المسلمين، خاصة إذا علم المسلمون أن هناك أكثر من (٢٣٣) مركزا استشراقيا على مستوى العالم يرصد كل الفتاوى والأطروحات والأفكار السلبية ويعيد صياغتها ونشرها في الأوساط الفكرية والثقافية لتعيد إنتاجها مرة أخرى بين الجمهور بشكل مقنع، ومن هنا أرى أن هذه الحملة متميزة وستعطي ثمارا طيبة إن شاء الله تعالى.

كل الشراب واشرب الطعام

كيف نأكل ونشرب؟

دبي - السيد محمود

الطعام والشراب حاجتان أساسيّتان لا يمكن الاستغناء عنها مهما كانت الأحـوال والأوضـاع، فهما سرّ الحياة، ومن أعظم النعم التي امتنّ الله بها على عباده، ووجّه الأنظار إليها في كثير من الآيـات القرآنية، للعظة والعبرة، والشكر والامتنان، قال تعالى: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه • أنّا صببنا الماء صبا • ثم شققنا الأرض شقا • فأنبتنا فيها حبا • وعنبا وقضبا • وزيتونا ونخلا • وحدائق غلبا • وفاكهة وأبا • متاعا لكم ولأنعامكم﴾ (عبس: ٢٤-٢٣).

الشراب والدواء

أشار طبيب صيني إلى أهمية تناول الأقراص مع شرب الماء البارد لدفعها، فبعدما تبتلع القرص اشرب عليه الكثير من الماء حتى تتأكد من وصوله إلى المعدة. وانتظر نصف ساعة بعد تناولك للدواء قبل الذهاب للنوم.لا تلجأ لشرب ماء فاتر أو دافئ أو حار لدفع الأقراص بعد ابتلاعها، وابتعد أيضا عن المشروبات المحلاة كالعصائر وغيرها. عليك فقط بشرب كميات كافية من الماء البارد.ثانيا: اذا احسست بضيق أو عدم ارتياح بعد ابتلاع القرص اشرب المزيد من الماء.

ثالثا: تناول الأدوية إما واقفا أوجالسا.

عادات شرب سيئة

ان شرب المياه من فم الزجاجة أو الإناء مباشرة أصبح عادة منتشرة في مجتمعنا العربي تتوارثها الأجيال فاعتاد الناس عند الاستيقاظ من النوم الذهاب إلى الثلاجة، وفتحها وأخذ زجاجة المياه ليشرب منها مباشرة، وهنا لابد أن نوضح شيئا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى عن شرب المياه من فم الإناء مباشرة، وبعض الناس قد يكونون مصابين بمرض سواء في شفته أو في فمه، وبالإضافة إلى ذلك تلوث المياه الباقية في الإناء، وذلك لأنه عندما يشرب الشارب من الإناء مباشرة قد يتنفس فيه ويلوث الماء بلعابه، بما يؤذي الآخرين، فيجب على الآباء والأمهات تعليم أبنائهم الشرب من كوب صغير، وعدم تعويدهم على تبادل الشرب من فم الزجاجة، لأن ذلك مكروه وفيه خطورة على صحتهم.

فالدكتور عبد الصبور شاهين ـ عضو مجمع البحوث الإسلامية سابقا أكد أن الشرب من فم الزجاجة مباشرة مكروه في الإسلام ونهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، وأوصى بسكب الماء في كوب صغير للتأكد من أنه سليم وغير ملوث، وحتى لو كان من زجاجة شفافة، وذلك لكراهة التنفس في الإناء والنفخ فيه فلا

ينبغي التنفس في الإناء وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التنفس في الإناء، وشرب الماء مرة واحدة، ويسمى عبا، وهذا لا ينبغي لأن فيه شراهة، وقد يخرج من فم الشارب بعض الروائح فيتقزز من يشرب بعده، وهكذا إذا جاء شخص ووجد من قبله قد تنفس في الإناء فإنه يتقزز من الشراب، فقد تكون رائحة فمه فيها بعض الأطعمة أو بعض الروائح الكريهة، أو قد يكون مصابا بمرض في لثته أو أسنانه، مما يؤذي الآخرين وهو ما نهى عنه الإسلام فلابد من الابتعاد عن تلك العادة السيئة.

أما بالنسبة لأطباء التغذية فيؤكد الدكتور نبيل أيوب ـ أستاذ التغذية بجامعة الزقازيق أن الشرب من فم الزجاجة مباشرة، وخاصة في حالة الوقوف له مخاطر على صحة الإنسان لأنه إذا شرب وهو جالس يرتاح الجسم والمعدة على عكس من يشرب وهو قائم لأنه إذا نزل الماء مباشرة والشخص قائم، لا شك أن هذا يؤثر على المعدة، كما أن عادة الشرب من الزجاجة غير صحية بالمرة، لاختلاط لعاب الشارب بالماء والتنفس والنفخ في الزجاجة أثناء الشرب، فالطريقة الصحيحة التي يجب إتباعها هي استخدام كوب صغير للشرب من الزجاجة حيث تكون هناك مساحة للتنفس وإمكانية غسل الكوب بعد الشرب.

الدكتور محمد نصر الدين ـ أستاذ التغذية بجامعة القاهرة يقول: ليس من الصحيح طبيا أو دينيا الشرب من فم الزجاجة مباشرة لأن ذلك يصاحبه انتقال الأمراض من فرد لآخر كما أنها عادة مكروهة في الإسلام ومن الممكن أن يكون أحد الأفراد مصابا بمرض في شفتيه أو أسنانه.

ولعلماء الاجتماع أيضا رأي، حيث تؤكد الدكتورة ثريا لبنة أن عادة شرب المياه من فم الزجاجة عادة متوارثة من الآباء حيث يجد الطفل أبيه يذهب عند الاستيقاظ من النوم إلى الثلاجة، ويأخذ منها زجاجة المياه ويرفعها على فمه مباشرة، ومن الطبيعي أن يقلد الطفل أبيه، وأن منظر الفرد رجلا كان أو سيدة غير لائق مع شرب الماء وقوفا خارج البيت، ففي الشارع تجد الشارب يرفع زجاجة المياه على فمه، وهو يسير، والأمراض تنتقل بتبادل الزجاجة.

ليس من الصحيح طبيا أو دينيا الشرب من فم الزجاجة مباشرة لأن ذلك ينقل الأمراض من فرد لآخر

للقضاء على مثل هذه العادة لابد أن نبدأ أولاً من البيت بحيث أن يعلم الأب والأم أبناءهم، ألا يشربوا من فوهة الزجاجة مباشرة، وتعريفهم أن ذلك حرام ومكروه في الإسلام.

الدكتورة سامية الساعاتي – أستاذ علم الاجتماع بالمعهد القومي للبحوث الجنائية والاجتماعية بالقاهرة توضح أن الشرب من الزجاجة مباشرة عادة منتشرة في مجتمعاتنا العربية على الرغم من خطورتها البالغة على صحة الفرد، كما أن الشرب في حالة الوقوف له أثر سلبي على الفرد، ومعدته فينبغي الشرب جلوسا.

كيف كان يشرب النبي؟

أما عن هديه – صلى الله عليه وسلم – في شرابه فقد كان يشرب باليمين، كما ورد ذلك في الأكل، وكان يشرب الماء على ثلاث دفعات، كما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- كان يتنفس إذا شرب ثلاثاً رواه البخاري ومسلم، وفي رواية أخرى: كان رسول الله يتنفس في الشراب ثلاثاً ويقول: (إنه أروى وأبرأ وأمرأ)، فهديه – صلى الله عليه وسلم - في شرب الماء أنه يقسم شرابه إلى ثلاثة أجزاء يتنفس بينها، مبعداً الإناء عن فيه وعن نفسه وقاية له من التلوث، وكان ينهى عن التنفس في الإناء، كما ثبت ذلك عنه بقوله – صلى الله عليه وسلم - : (إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء) رواه البخاري.

ومن هديه - صلى الله عليه وسلم - في ذلك، أنه كان قليلاً ما يشرب قائماً، حتى قال - صلى الله عليه وسلم-: (لا يشربن أحدكم قائماً) رواه مسلم، وورد عنه أنه شرب قائماً، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «سقيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فشرب وهو قائم» رواه البخاري ومسلم، وذكر العلماء في الجمع بين أحاديث النهي والإباحه أن النهي محمول على كراهة التنزيه، وشربه – صلى الله عليه وسلم - قائماً بيان للجواز.

ومن الآداب التي سنّها رسول الله – صلى الله عليه وسلم - والمتعلّقة بالشرب عند اجتماع الناس - أن يكون ساقي القوم هو آخر من يشرب، فعن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (إن ساقي القوم آخرهم شربا) رواه مسلم، وأن يكون تقديم الشراب باعتبار الجهة لا السنّ والمكانة، يوضّح ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن شاةً حُلبت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم –، وكان على يساره عليه الصلاة والسلام أبو بكر، وعن يمينه أعرابي، فأمر أنس أن يعطي الأعرابي، وقال له: (الأيمن فالأيمن) متفق عليه.

وأكثر ما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يحبّ شربه: اللبن، حتى كان يقول في حقّه: (ليس شيء يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن) رواه الترمذي، وكان يخصّص له من الشكر ما ليس لغيره من الأطعمة، وقد روى ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – قال: (من أطعمه الله

الطعام فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وأطعمنا خيراً منه، ومن سقاه الله لبناً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه) رواه الترمذي.
وكان النبي - صلى الله عليه وسلم – يعجبه شرب الماء العذب البارد، ويطلب أن يُحضر له من الآبار، كما ثبت في السنن.

وهكذا تبقى السنة النبوية هي الأكمل أدباً، والأعظم أجراً، والأحفظ لمكارم الأخلاق، إضافةً إلى ما يترتّب عليها من المحافظة على صحّة البدن ونضارته.

كيف كان يأكل المصطفى؟

جاء الهدي النبوي فوضع لهذا المظهر الإنساني جملةً من الآداب التي ترفع من قيمة المسلم، وتحقّق له التميّز على بقيّة الشعوب والأمم.
وأول من يُذكر في هذا الباب، القاعدة النبويّة العظيمة التي قرّرها رسول الله – صلى الله عليه وسلم - بقوله: (ما ملأ ابن آدم وعاءً شرا من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلا، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) أخرجه أحمد و الترمذي، فالمهم إذاً أن يجد الإنسان ما يحفظ له حياته، لا أن يكون تناول الطعام وتنويعه هدفاً بحدّ ذاته.

وقد حرص النبي – صلى الله عليه وسلم على تطبيق ذلك، فلم يكن يكثر من تناول الطعام ويتتبّع أنواعه، بل كانت تمرّ عليه الأيام الطويلة دون أن يُطبخ في بيوت نسائه شيء، ويكتفي بالخبز الذي كان أكثر أكله.

وكان من هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - غسل اليدين قبل الطعام وبعده، فقد قال: – صلى الله عليه وسلم- (من نام وفي يده ريح غمر وأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه) رواه أبو داود، ومعنى(الغمر): دسم ووسخ، وغيرهما من الشحوم.
أما عن صفة جلوسه – صلى الله عليه وسلم – على مائدة الطعام فقد كان يجثو على ركبتيه عند الأكل، أو ينَصبُ رجله اليمنى ويجلس على اليسرى، فعن أنس رضي الله عنه قال: " رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – جالساً مقعياً يأكل تمراً " رواه مسلم.

وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يأكل على الأرض ولا يتّخذ مائدة، فقد روى ابن عباس رضي الله عنه فقال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجلس على الأرض ويأكل على الأرض، رواه الطبراني. وكان عليه الصلاة والسلام لا يأكل متكئاً، فقد قال – صلى الله عليه وسلم -: (لا آكل متكئاً) رواه البخاري ومعنى (المتكئ): هو المعتمد على الوسادة تحته. وكان لا يأكل – صلى الله عليه وسلم – منبطحاً، ومعنى (منبطحاً): أي مستلقياً على بطنه ووجهه، فقد جاء النهي عن ذلك،كما روى ذلك ابن ماجة.

وكان من هديه – صلى الله عليه وسلم – في هذا الشأن أنه يسمي الله تعالى في أول طعامه ويحمده في آخره، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله، فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل بسم الله أوله وآخره) رواه أبو داود، وعند الفراغ من الطعام يقول: : (الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مَكْفي – أي لا يستغني عنه الخلق -، ولا مودّع ولا مستغنى عنه ربنا) رواه البخاري، ويقول: (الحمد لله الذي كفانا وأروانا، غير مكفيّ ولا مكفور) رواه البخاري، ويقول: (الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين) رواه ابن ماجة، ويقول: (اللهم أطعمت وأسقيت، وأغنيت وأقنيت، وهديت وأحييت، فلك الحمد على ما أعطيت) رواه النسائي، ويقول: (الحمد لله الذي

أطعم وسقى، وسَوّغه وجعل له مخرجاً) رواه أبو داود، ويقول: (الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة) رواه الترمذي، وأحيانا يقول: (الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم، منّ علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكل بلاء حسن أبلانا، الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسا من العري، وهدى من الضلالة، وبصر من العمى، وفضل على كثير ممن خلق تفضيلا، الحمد لله رب العالمين) رواه ابن حبان في صحيحه.

ثم إن من هديه – صلى الله عليه وسلم – الأكل باليمين ومما يليه، فقد جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله) رواه مسلم، وثبت عن عمر بن أبي سلمة قال: أكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (سَمّ الله وكُلْ بيمينك وكُلْ مما يليك) متفق عليه.

وكان من هديه – صلى الله عليه وسلم – في تناوله طعامه، أنه يأكل بأصابعه الثلاثة، وكان يلعقها إذا فرغ من طعامه، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم-يأكل بثلاث أصابع، فإن فرغ لعقها) رواه مسلم، يقول الإمام ابن القيم في زاد المعاد: (وهو أشرف ما يكون من الأكلة، فإن المتكبر يأكل بأصبع واحدة، والجشع الحريص يأكل بالخمس، ويدفع بالراحة).

كثيراً ما كان الصحابة يدعون النبي صلى الله عليه وسلم، فيقبل دعوتهم، ويأكل من ولائمهم، كما حصل في غزوة الخندق وغيرها

وإذا تتبّعنا ما كان يأكله النبي – صلى الله عليه وسلم – لمسنا عدم تكلّفه، فقد ورد عنه أكل الحلوى والعسل، وأكل الرطب والتمر، وشرب اللبن خالصا ومشوباً –أي مخلوطاً بغيره -، والسويق – وهو طعام يُصنع من الحنطة والشعير -، وأكل الأقط – اللبن المجفف -، وأكل التمر بالخبز، وأكل الخبز بالخل أو الزيت، وأكل الثريد - وهو الخبز باللحم -، وأكل الخبز بالشحم المذاب، وغير ذلك مما ورد في السنّة.

لكنه عليه الصلاة والسلام كان يفضّل أنواعاً من الأطعمة، فقد كان يحب البقل والقثّاء – وهو الخيار -، والدّباء (وهو القرع)، وروى عنه خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان يتتبّع الدباء من حوالي القصعة، متفق عليه.

وكان عليه الصلاة والسلام يحبّ الثريد بشكل خاص، حتى جعل فضل عائشة رضي الله عنها على سائر نسائه كفضل الثريد على سائر الطعام، متفق عليه، وكان – صلى الله عليه وسلم يحبّ من اللحم الظهر والكتف، وكان يقول: (أطيب اللحم لحم الظهر) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة، فرُفع إليه الذراع وكانت تعجبه، متفق عليه.

وكثيراً ما كان الصحابة يدعون النبي صلى الله عليه وسلم، فيقبل دعوتهم، ويأكل من ولائمهم، كما حصل في غزوة الخندق وغيرها، وكان عليه الصلاة والسلام يدعو لصاحب الطعام فيقول: (أفطر عندك الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلّت عليكم الملائكة) رواه أبو داود.

لكنّه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقبل الطعام الذي جاء على سبيل الصدقة بخلاف ماجاء عن طريق الهديّة، فإنّ الصدقة تحمل في معانيها الرحمة والمسكنة، فلذلك كانت الصدقة محرّمة عليه وعلى ذرّيته صيانةً لهم وإعلاءً لشأنهم كما صحّ بذلك الحديث، والحال أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يسأل عن الطعام الذي يأتيه، فإن كان هدية قبله، وإن كان صدقة قال لأصحابه: (كلوا) رواه البخاري.

ومن كمال هديه – صلى الله عليه وسلم – في الطعام أنه كان لايرد موجوداً ولا يتكلف مفقوداً، فما قُرّب إليه شيء من الطيبات إلا أكله، إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (ما عاب النبي- صلى الله عليه وسلم - طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه) رواه البخاري و مسلم.

ومن الأطعمة التي ثبت أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يكرهها ويعافها، لحم الضبّ، ويبيّن سبب ذلك بقوله: (...ولكنه لا يكون بأرض قومي فأجدني أعافه) متفق عليه.

وصحّ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – كراهيّته لأكل الثوم، وذلك لأجل ريحه، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أكل طعاماً بعث بفضله إلى أبي أيوب، فأتى يوماً بقصعة فيها ثوم فبعث بها، فقال أبو أيوب: يا رسول الله، أحرام هو ؟، فقال له: (لا، ولكني أكره ريحه) رواه أحمد.

ويظهر من سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه لم يكن يأنف من تناول الطعام مع أيّ شخص، مهما كان عمره أو وضعه الاجتماعي، تواضعاً منه عليه الصلاة والسلام.